

بحوث قرآنية في التوحيد والشرك

يبحث عن:

تحديد معالم التوحيد والشرك مع تطبيقات عملية

العلامة المحقق آية الله الشيخ جعفر السبحاني حفظه الله

منشورات مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

بحوث قرآنية

في

التوحيد والشرك

يبحث عن

تحديد معالم التوحيد و الشرك

مع تطبيقات عمليّة

تأليف

العلاّمة الفقيه

جعفر السبحاني

سبحانی تبریزی، جعفر، ۱۳۰۸ ـ
بحوث قرآنيـة في التوحيد والشرك/ تأليف جعفر السبحاني. ـ قم: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤٢٦ق. =١٣٨٤
١٧٦ص ISBN:964-357-217-X
کتابنامه: ص. ١٦٣ـ١٦٩؛ همچنین به صورت زیرنویس.
فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا
١. توحيد ـ ـ جنبه های قرآنی. ٢. شرك ـ ـ جنبه‌های قرآنی الف. مؤسسه امام صادق عليه السلام. ب. عنوان.
BP ١٠٤ /٩ ت/ ٢س ١٣٨٤ ٢٩٧/١٥٩

اسم الكتاب:	بحوث قرآنية في التوحيد والشرك
المؤلف:	العلّامة المحقّق جعفر السبحاني
تنضيد الحروف:	مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام
المطبعة:	مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام
الطبعة:	الثالثة
التاريخ:	رمضان المبارك ١٤٢٦ هـ
كمية الطبع	٣٠٠٠ نسخة
الناشر:	مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

E-mail: info@imamsadeq.org
http://www.imamsadeq.org

توزيع
مكتبة التوحيد
قم ـ ساحة الشهداء ـ ☎ ٧٧٤٥٤٥٧و٢٩٢٥١٥٢، فكس ٢٩٢٢٣٣١

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

النحل:٣٦

وقال عزّ اسمه:

﴿إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾

الأنبياء:٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين وآله وصحبه المنتجبين.

أمّا بعد،

فهذه بحوث موجزة حول التوحيد والشرك في القرآن الكريم أقدِّمُها إلى الجيل الصاعد من أبناء أُمّتنا الإسلامية بُغية الحفاظ على كيانهم ووحدة كلمتهم و إنقاذهم من مخالب الشرك وهدايتهم إلى حظيرة التوحيد.

فانّ الهدف الأسمىٰ لجميع الرسل هو مكافحة الشرك وتحطيم قلاعه، قال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا في كُلِّ أُمّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطّاغُوت﴾.[1]

وقد أضحت مسألة التوحيد والشرك من المسائل الهامّة في

---

١. النحل:٣٦.

عصرنا هـذا، لا سيما وأنّها صارت ذريعـة لتشتيت الصفـوف وتمزيق الوحدة الإسلامية، مع أنّ الواجب علىٰ كلّ مسلم الحفاظ علىٰ توحيد الكلمة وتعزيز أواصر الأخوّة.

ويأتي الكلام في الموضوع ضمن مقدمة وفصول.

المقدمة

كلمة التوحيد و توحيد الكلمة

بُني الإسلام على كلمتين: «كلمة التوحيد» والشهادة على أنّه لاإله إلاّ الله ونفي أُلوهية وربوبية كلّ موجود سواه، و«توحيد الكلمة» والاعتصام بحبل الله المتين والنهي عن التفرق والتشتت وراء مسائل هامشية لا تمسُّ ـ في كثير من الأحيان ـ جوهرَ الإسلام، ورائدُنا في الدعوة إلى الوحدة وحفظ كيان الإسلام، قوله سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخواناً وَكُنْتُمْ عَلىٰ شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.[1]

ولو سبرنا أقوال النبي ﷺ وسيرته العملية نلمس منها اهتماماته الكبيرة بتوحيد الكلمة ولمّ الشمل، فانّ الوحدة هي دعامة القوة والرفاه ونيل السعادة، كما أنّ التفرقة هي بؤرة الضعف والشقاء والاندحار.

---

١ . آل عمران: ١٠٣ .

ولنقتصر من سيرته وكلامه ﷺ علىٰ الأُمور التالية:

أ. قدِم النبي ﷺ يثرب، و الأوس و الخزرج يقودان جمله وشبّانهم يطوفون حوله وكانت القبيلتان هما الحجر الأساس لبناء الدعوة الإسلامية، ولكن كان بين الطائفتين قبل اعتناق الإسلام حروب طاحنة أسفرت عن مصرع العديد منهم و كانت البغضاء والعداوة متفشية بينهم، وفي تلك الظروف هبط عليهم النبي ﷺ ورأىٰ ضرورة رأب الصدع وتقريب الخطىٰ بين القبيلتين بل جعْلَهما اخوين متحابين ومتراحمين.

فأوّل خطوة قام بها هي التآخي بينهما حسماً لمادة الخلاف و إنساءً للماضي.[١]

ب. انتصر المسلمون علىٰ قبيلة بني المصطلق، فبينا رسول الله على مائهم نشب النزاع بين رجل من الأنصار ورجل من المهاجرين، فصرخ الأنصاري، فقال: يا معاشر الأنصار، وصرخ الآخر، وقال: يا معشر المهاجرين، فلما سمعهما النبي ﷺ قال: دعوها فانّها منتنة...[٢] يعني انّها كلمة خبيثة، لأنّها من دعوى الجاهلية، والله سبحانه جعل المؤمنين إخوة وصيّرهم حزباً واحداً، فينبغي أن تكون الدعوة في كلّ

١. الدر المنثور: ٢/ ٢٨٧، تفسير الآية ١٠٣ من سورة آل عمران، نقل عن مقاتل بن حيان انّ هذه الآية نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار، إلىٰ أن قال: فقدم النبي ﷺ فأصلح بينهم.

٢. ابن هشام: السيرة النبوية: ٣/ ٣٠٣، غزوة بني المصطلق.

مكان وزمـان لصالـح الإسلام والمسلمين عـامة، لا لصـالح قـوم ضد الآخرين، فمن دعا في الإسلام بدعوى الجاهلية يعزر.

فالنبي ﷺ يصف كلّ دعوة تشـقّ عصا المسلمين وتمزق وحدتهم بأنّها دعوىٰ منتنـة، وكيف لا تكون كذلـك وهي توجب انهدام دعـامة الكيان الإسلامي.

ج. نزل النبـي ﷺ دار هجرتـه والتفت حولـه القبيلتان: الأوس والخزرج، فمـرَّ شـاس بن قيـس ــ الـذي كـان يحمل في قلبـه ضغنـاً للمسلمين ـ علىٰ نفر مـن أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس يتحدثـون فيه، فغاظه ما رأىٰ من أُلفتهـم وجماعتهم، وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية.

فقال: قد اجتمـع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، لا والله مـا لنا معهم إذا اجتمع ملؤهـم بها من قرار، فأمر فتـى شاباً من اليهـود كان معهم، فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم، ثمّ اذكر يوم بُعاث، يوم إقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه يـومئذ للأوس على الخزرج، وكان على الأوس يومئذ حُضير بن سماك الأشهلي، وعلى الخزرج عمرو بن النُّعمان البياضي، فقتلا جميعاً.

دخـل الشاب اليهـودي مجتمـعَ القوم فـأخذ يـذكـر مقاتلتهـم ومضاربتهم في عصر الجاهلية فأحيىٰ فيهم حميَّتها حتىٰ استعدُّوا للنزاع والجدال، وأخذ الشاب يؤجج نار الفتنة.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين، حتىٰ جاءهم فقال ﷺ: يا معشر المسلمين! الله، الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم الله بالإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم من الكفر وألّف به بين قلوبكم.[١]

وقد تركت كلمة النبي ﷺ وقعاً في نفوسهم، حيث فطنوا إلى أنّها نزعة من نزعات الشيطان، فندموا على ما وقع منهم ثمّ انصرفوا.

انّ كلمة الرسول، كشفت القناع عن الخدعة اليهودية، وأطفأت نار الفتنة في مهدها، ودخلت في القلوب المؤمنة وصيّرتهم إخواناً متحابّين.

هذه القصة وكم لها من نظير تعكس لنا المحاولات المستميتة التي يبذلها أعداء الإسلام بغية الإطاحة بوحدة المسلمين وتمزيق شملهم.

ولو كان في عصر الرسول شاس أو شاسان من اليهود، ففي الوقت الحاضر المئات بل الأُلوف منهم جنّدوا قواهم الشيطانية، وأثاروا النعرات الطائفية بين المسلمين من خلال طرح مسائل هامشية لتكدير صفوهم.

إنّ أساليب الأعداء في إثارة الفتن لا تعدُّ ولا تُحصىٰ، ولهم مخططات مختلفة حسب ما تقتضيه الظروف والبيئات.

---

١. انظر السيرة النبوية: ١/ ٥٥٥ـ٥٥٦، ط عام ١٣٧٥هـ.

فالعقل يفـرض على المسلمين رصَّ صفوفهم، وتوحيـدَ كلمتهم بغية الوقوف أمام تلك الخُطط والمؤامرات .

إنّ مسـألة التـوحيد ونبـذ الشرك مـن المسائل الهامّـة التي تعـد الهدف الأسنىٰ للأنبيـاء والمرسلين وكبار المصلحين. فـالتـوحيد رمـز الإسلام وعزّة المسلمين .

هذا ومع الاعتراف بأهميته ولكن وجدت ـ من خلال البحث في التوحيـد والشرك ـ مسائل هامشيـة صارت ذريعة للاختـلاف ووسيلة للتشتت فآثـرنا في هذه الرسالـة المتواضعة استنطاق القـرآن الكريم في هذه المسـائل والاستنارة بنـور السنة النبويـة التي اتفـق المسلمون على كونها المصدر الثاني للعقيدة والشريعة بعد الذكر الحكيم.

وأخيراً ندعـو المجتمع الإسلامي إلى مـا دعا به القرآن الكـريم، وقال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ .

فالمسلمون ملّـة واحدة يجمعهم إله واحد، وكتـاب واحد، ودين واحد، وشريعة واحدة فما يجمعهم أكثر ممّا يفرقهم.

والجميع كما يقول شاعر الاهرام:

انّـا لتجمعنـا العقيـدة أمَّـة ... ويضمّنـا ديـن الهدىٰ أتبـاعـا
ويـؤلـف الإسـلام بين قلـوبنـا ... مهما ذهبنـا في الهوىٰ أشيـاعـا

جعفر السبحاني

الفصل الأوّل

تحديد الإيمان و الكفر

الإيمان عبارة عن الإذعان بالله سبحانه واليوم الآخر ورسالة النبي ﷺ فهذه الأُمور الثلاثة تشكِّل دعامات الإيمان وأركانه، وما سواها ترجع بشكل إليها.

نعم لما كان ما خلَّف النبي ﷺ من تراث في مجال المعارف والأحكام ضخماً لا يمكن استحضاره في الضمير ثمّ التصديق به، اضطرّ العلماء إلىٰ تقسيم ما جاء به النبي ﷺ إلىٰ قسمين: قسم معلوم بالتفصيل كتوحيده سبحانه والحشر يوم المعاد في مجال العقائد، ووجوب الصلاة والزكاة ونحوهما في مجال الأحكام، وقسم منه معلوم بالإجمال نعلم وروده في الكتاب والسنّة، فلا محيص للمؤمن أن يؤمن بالأوّل على وجه التفصيل، وبالثاني علىٰ وجه الإجمال.

قال عضد الدين الايجي: الإيمان: التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علم إجمالاً.[1]

---

١. الايجي، المواقف، ص ٣٨٤.

وبعبارة أوضح: أنّ ما جاء به الرسولﷺ إمّا أن يعلم به بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة والجهاد والحج، و إمّا أن لا يعلم به كذلك.

فالمؤمن هو الذي يعتقد بصحّة كلّ ما بعث به الرسول ﷺ إلى أُمّته، غير انّ المعلوم بالضرورة، يؤمن به تفصيلاً و ما لم يعلم، يؤمن به علىٰ وجه الإجمال.

ويظهر ممّا تقدم انّ الإيمان يتجلّىٰ في أُصول ثلاثة:

الأصل الأوّل: الإيمان بالله سبحانه وتوحيده.

الأصل الثاني: الإيمان بالآخرة وحشر الناس في اليوم الموعود.

الأصل الثالث: الإيمان برسالة الرسولﷺ وما جاء بها.

والاعتقاد بهذه الأُصول الثلاثة يورث الإيمان ويدخل الإنسان في حظيرته ويتفيّأ في ظلاله وظلال الإسلام.

هذا ما عليه علماء الإسلام دون فرق بين طائفة وأُخرىٰ، وقد آثروا في ذلك ما روي عن النبي ﷺ في غير و احد من المواقف.

١. روى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ، عن آبائه، عن عليعليه السلام ، قال: «قال النبي ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله، فإذا قالوا حرمت عليَّ دماؤهم وأموالهم».[1]

---

١. البحار: ٦٨/ ٢٤٢.

٢. أخرج الشيخان، عن عمر بن الخطاب، انّ عليّاً صرخ: يا رسول الله علىٰ ماذا، أقاتل؟ قال ﷺ: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وانّ محمّداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله».[1]

٣. روى أبو هريرة انّ رسول الله ﷺ قال:

«لا أزال أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله».[2]

إلى غير ذلك من النصوص الدالة علىٰ أنّ محور الإسلام والكفر كلمة «لاإله إلاّ الله ومحمد رسول الله» و لو اقتصر في بعض على أصل واحد ولم يذكر المعاد وحشر الناس أو لم يذكر رسالته فلوضوحهما.

نعم، ليس الإيمان بالأُصول الثلاثة فقط مورثاً للسعادة، ومنقذاً عن العذاب والعقاب، بل لابدّ من انضمام العمل إليه واقترانه بامتثال أوامره ونواهيه في الكتاب والسنّة، وذلك من الوضوح بمكان، وقد وردت في هذا الصدد روايات عديدة نقتصر علىٰ قليل منها:

١. روى عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ:

«بني الإسلام على خمس: شهادة أن لاإله إلاّ الله وانّ محمّداً رسول

---

١. صحيح البخاري: ١/ ١٠، كتاب الإيمان؛ صحيح مسلم: ٧/ ١٧، كتاب فضائل علي عليه السلام.

٢. الشافعي: الأُمّ: ٦/ ١٥٧، اقرأ كلامه فيه حول هذا الموضوع.

الله، و إقامة الصلاة، و إيتاء الزكاة، والحجّ، وصوم شهر رمضان».[١]

٢. ما روي عن رسول الله ﷺ متضافراً انّه قال:

«من شهد أن لا إله إلاّ الله، و استقبل قبلتنا، وصلىٰ صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم».[٢]

وعلى ضوء ذلك فالذي يميز المؤمن عن الكافر هو الاعتقاد بالأُصول الثلاثة، وأمّا ما يوجب السعادة الأُخروية فهو في ظلّ العمل بالواجبات والانتهاء عن المحرمات.

ويشير إلى الأمر الأوّل ما مرّ من الروايات التي تركّز على العقيدة ولا تذكر من العمل شيئاً. كما تشير إلى الأمر الثاني الروايات التي تركز على العمل وراء العقيدة.

إذا عرفت ما يُخرج الإنسان من الإيمان ويدخله في الكفر ،يعلم منه انّه لا يصح تكفير فرقة من الفرق الإسلامية مادامت تعترف بالأُصول الثلاثة.وفي الوقت نفسه لا تنكر ما علم كونه من الشريعة بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة وأمثالها.

هذا ما نصّ عليه جمهور المتكلمين والفقهاء.[٣]

وها نحن نذكر بعض الشواهد على هذا الموضوع.

---

١. صحيح البخاري: ١/ ١٦، باب أداء الخمس من كتاب الإيمان.

٢. ابن الأثير: جامع الأُصول: ١/ ١٥٨.

٣. لاحظ المواقف للايجي: ٣٩٢.

١ . قال ابن حزم عندما تكلّم «فيمن يُكفَّر و لا يكفر»:

«وذهبت طائفة إلىٰ انّه لا يُكفَّر ولا يُفسَّق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا، وانّ كلّ من اجتهد في شيء من ذلك فدانَ بما رأىٰ انّه الحقّ فانّه مأجور علىٰ كلّ حال، إن أصاب الحق فأجران، و إن أخطأ فأجر واحد.وهذا قول ابن أبي ليلىٰ، وأبي حنيفة، والشافعي، وسفيان الثوري، وداود بن علي وهو قول كلّ من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة (رضوان الله عليهم) ما نعلم منهم في ذلك خلافاً أصلاً».(١)

٢ . وقال شيخ الإسلام تقي الدين السبكي: إنّ الإقدام علىٰ تكفير المؤمنين عسر جداً، وكلّ من في قلبه إيمان، يستعظم القول بتكفير أهل الأهواء والبدع مع قولهم لاإله إلاّ الله، محمّد رسول الله، فانّ التكفير أمر هائل عظيم الخطر.(٢)

٣. وقال أحمد بن زاهر السرخسي الأشعري: لما حضرت الوفاةُ أبا الحسن الأشعري في داري ببغداد أمر بجمع أصحابه ثمّ قال: اشهدوا علىٰ أنّني لا أُكفِّرُ أحداً من أهل القبلة بذنب، لأنّي رأيتهم كلّهم يشيرون إلىٰ معبود واحد والإسلام يشملهم ويعمهم.(٣)

---

١ . ابن حزم: الفصل: ٣/ ٢٩١.

٢. الشعراني:، اليواقيت والجواهر:٢/ ١٢٥، ط عام ١٣٧٨هـ.

٣. الشعراني: اليواقيت والجواهر:٢/ ١٢٦.

٤. وقال التفتازاني: إنّ مخالف الحقّ من أهل القبلة ليس بكافر مالم يخالف ما هو من ضروريات الدين كحدوث العالم وحشر الأجساد، واستدل بقوله: إنّ النبي و من بعده لم يكونوا يفتشون عن العقائد وينبهون علىٰ ما هو الحقّ.(١)

السنّة النبوية وتكفير المسلم

قد وردت أحاديث كثيرة تنهىٰ عن تكفير المسلم الذي أقر بالشهادتين فضلاً عمّن يمارس الفرائض الدينية، وإليك طائفة من هذه الروايات:

١. بني الإسلام علىٰ خصال: شهادة أن لا إله إلّا الله، وانّ محمّداً رسول الله، والاقرار بما جاء من عند الله، و الجهاد ماض منذ بعث رسله إلى آخر عصابة تكون من المسلمين...فلا تكفروهم بذنب ولا تشهدوا عليهم بشرك».(٢)

٢. أخرج أبو داود عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيّما رجل مسلم أكفر رجلاً مسلماً فإن كان كافراً وإلّا كان هو الكافر».(٣)

---

١. التفتازاني: شرح المقاصد:٥/ ٢٢٧.

٢. كنز العمال:١/ ٢٩، برقم ٣٠.

٣. سنن أبي داود:٤/ ٢٢١، برقم ٤٦٨٧، كتاب السنة.

٣. أخرج مسلم، عن نافع، عن ابن عمر، انّ النبي ﷺ قال: «إذا كفّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما».(١)

٤. أخرج مسلم، عن عبد الله بن دينار، انّه سمع ابن عمر، يقول: قال رسول الله ﷺ: «أيّما امرءٍ قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال، و إلاّ رجعت عليه.(٢)

٥. عقد البخاري باباً باسم «المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلاّ بالشرك»، يقول النبي ﷺ: إنّك امرء فيك جاهلية، وقول الله: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يغفرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشاءُ**﴾.(٣)،(٤)

٦. أخرج الترمذي في سننه عن ثابت بن الضحاك، عن النبي ﷺ قال: «ليس على العبد نذر فيما لا يملك، ولاعِن المؤمن كقاتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقاتله».(٥)

٧. أخرج ابو داود عن أُسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ

١. صحيح مسلم: ١/ ٥٦، باب «من قال لأخيه المسلم يا كافر» من كتاب الإيمان.
٢. صحيح مسلم: ١/ ٥٧، باب «من قال لأخيه المسلم يا كافر» من كتاب الإيمان، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٢/ ٢٢و ٦٠و ١٤٢؛ وأخرجه الترمذي في سننه: ٥/ ٢٢ برقم ٢٦٣٧، كتاب الإيمان.
٣. النساء:٤٨.
٤. صحيح البخاري: ١/ ١١، باب «المعاصي من أمر الجاهلية» من كتاب الإيمان.
٥. سنن الترمذي: ٥/ ٢٢ برقم ٢٦٣٦، كتاب الإيمان.

سرية إلى الحرقات، فنذروا بنا فهربوا فأدركنا رجلاً فلمّا غشيناه قال: لا إله إلاّ الله، فضربناه حتى قتلناه فذكرته للنبيﷺ فقال: «من لك بلا إله إلاّ الله يوم القيامة؟» قال: قلت: يا رسول الله، إنّما قالها مخافة السلاح والقتل، فقال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا؟ من لك بلا إله إلاّ الله يوم القيامة؟» قال: فما زال يقولها حتى وددت انّي لم أسلم إلاّ يومئذ.[١]

٨. لما خاطب ذو الخويصرة الرسول الأعظمﷺ بقوله: اعدل، ثارت ثورة من كان في المجلس، منهم خالد بن الوليد قال: يا رسول الله الا أضرب عنقه؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا، فلعله يكون يصلّي» فقال: إنّه رب مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «إنّي لم أُؤمر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم».[٢]

وعلى ضوء هذه الأحاديث المتضافرة والكلمات المضيئة عن الرسولﷺ وعلمائنا السابقين المقتفين أثره يعلم انّ تكفير مسلم ليس بالأمر الهيّن بل هو من الموبقات، قال سبحانه: **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**.[٣]

---

١. سنن أبي داود: ٣/ ٤٥ برقم ٢٦٤٣؛ صحيح البخاري: ٥/ ١٤٤، باب بعث النبي اسامة بن زيد إلى الحرقات من كتاب المغازي.

٢. صحيح البخاري: ٥/ ١٦٤، باب بعث علي وخالد بن الوليد من كتاب المغازي.

٣. آل عمران: ١٠٥.

لم يزل المسلمون منذ قرون غرضاً لأهداف المستعمرين ومخطَّطاتهم في بث الفرقة بين صفوفهم وجعلهم فرقاً وأُمماً متناحرة ينهش بعضهم بعضاً، وكأنّهم ليسوا من أُمّة واحدة كلّ ذلك ليكونوا فريسة سائغة للمستعمرين. وبالتالي ينهبوا ثرواتهم ويقضوا على عقيدتهم وثقافتهم الإسلامية بشتى الوسائل، ولأجل ذلك نرى انّه ربما يُشعلون نيران الفتن لأجل مسائل فقهية لا تمسّ إلى العقيدة بصلة فيكفِّر بعضهم بعضاً مع أنّ المسائل الفقهية لم تزل مورد خلاف ونقاش بين الفقهاء، فمثلاً:

في مسألة قبض اليد اليسرى باليمنىٰ أقوال فمن قائل بالاستحباب، إلى آخر قائل بالكراهة، إلى ثالث قائل بالتحريم. فلكل مجتهد رأيه فلا يجوز لفقيه أن يكفر فقيهاً أو اتباعه في مسألة القبض، وقس على ذلك مسائل كثيرة تعد من الأحكام وللاجتهاد فيها مجال واسع.

ونظير ذلك بعض المسائل العقائدية التي ليست من ضروريات الإسلام بل للعقل والاستدلال دور في تحقيقها، مثلاً:

عصمة الأنبياء قبل البعثة أو بعدها، أو حدوث القرآن وقدمه، أو صفاته تعالىٰ عين ذاته أو زائد عليها، فليست هذه المسائل محور التوحيد والشرك والإيمان والكفر ولكلّ محقق، عقيدته ودليله ولا يجوز لآخر تكفيره، ويكفي في ذلك، الاعتقاد بما جاء به النبي ﷺ إذا لم يكن من أهل التحقيق.

وبما ذكرنا يعلم انّ تكفير طائفة ، طائفة أُخرى لمسائل فقهية أو عقائدية لم يثبت كونها من ضروريات الدين، أمر محظور وزلَّة لا تغتفر وخدمة للاستعمار الغاشم لا غير.

ونحن لا نريد الإطالة في الكلام وتكثير الأمثلة، و تكفي في الاطلاع دراسة وضع المسلمين وتشتتهم ضمن اختلاف بعضهم مع بعض في فروع فقهية أو عقائدية ليست من الضروريات.

الفصل الثاني

التوحيد، مراتبه و أقسامه

التوحيد ونبذ الشرك من أهمّ المسائل العقائدية التي تصدَّرت المفاهيم والتعاليم السماوية على الإطلاق، ويعدّ أساساً لسائر المعارف الإلهية التي جاء بها رسل الله في كتبهم وكلماتهم.

وبما انّ للتوحيد مراتب بيّنها علماء الإسلام في كتبهم العقائدية نأتي بها على سبيل الإجمال ونردف كلّ قسم منها بآية أو آيات قرآنية ثمّ نبحث باسهاب عن التوحيد في العبادة الذي هو آخر مراتبه.

فنقول: إنّ للتوحيد أقساماً:

الأوّل: التوحيد في الذات

والمراد منه هو انّه سبحانه واحد لا نظير له، فرد لا مثيل له، بل يمتنع أن يكون له نظير أو مثيل، قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّميعُ الْبَصير﴾.[1]

---

١. الشورى:١١.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد* اللهُ الصَّمَد* لَمْ يَلِدْوَلَمْ يُولَدْ*وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد﴾ .[1]

الثاني: التوحيد في الخالقية

والمراد انّه ليس في صحيفة الوجود خالق غير الله سبحانه، ولا مؤثر سواه، وانّ ما في الكون من السماوات والأرض والجبال والبحار والعناصر والمعادن والنباتات والأشجار فهو مخلوق لله سبحانه، فوجودها وأفعالها وآثارها كلّها مخلوقة لله تبارك و تعالى.

فالشمس وحرارتها، والقمر و إنارته، والنار و إحراقها وغير ذلك من الفواعل والأسباب كلّها مخلوقة لله تبارك وتعالىٰ مع آثارها ومسبباتها، قال سبحانه: ﴿قُلِ اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْواحِدُ القَهّار﴾ [2]. وقال سبحانه: ﴿اللهُ خالِقُ كُلّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلىٰ كُلّ شَيْءٍ وَكِيل﴾[3] وقال تعالى: ﴿ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلاّهُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ .[4]لكن جرت مشيئته على خلق الأشياء عن طريق أسبابها فكون العالم كله مخلوقاً لله سبحانه ليس بمعنى إنكار علاقة السببية ، كما سيوافيك .

١ . الاخلاص:١ـ٤ .

٢ . الرعد:١٦ .

٣ . الزمر:٦٢ .

٤ . الأنعام:١٠٢ .

الثالث: التوحيد في الربوبية

والمراد منه انّ للكون مدبراً واحداً متصرفاً كذلك لا يشاركه في التدبير شيء فهو سبحانه المدبر الوحيد للكون على الإطلاق، قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ في سِتَّةِ أَيّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْر﴾ [1] وقال سبحانه: ﴿اللهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرونَها ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْري لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْر﴾ .[2]

تجد انّه سبحانه يذكر بعد خلق السماوات والأرض، تدبير أمر الخلقة، وربوبيّتها فيُحصره في ذاته فلا مدبِّر ولا ربّ إلاّ هو، فيكون الخالق هو الموجد، والرب والمدبر لأمر الخلقة ودوامها واستمرارها.

نعم ثمّة سؤال وهو انّه إذا لم يكن مدبر سواه فما معنىٰ قوله سبحانه: ﴿فَالمُدبِّراتِ أَمْراً﴾ [3] أو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقاهِرُ فَوقَ عِبادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَة﴾ [4] فانّ الحفظة جمع «الحافظ» وهم الذين

١. يونس:٣.
٢. الرعد:٢.
٣. النازعات:٥.
٤. الأنعام:٦١.

يحفظون العباد و يـدبّرون شؤون حياتهم،أفهناك تنـاف بين هدا الاثبات والحصر السابق؟!

والجواب انّ من كان ملمّـاً بحقائق القرآن وعارفاً بلسـانه يقف علىٰ عـدم وجود أيٍّ تنـاقـض وتناف بين ذلـك النفـي وهذا الإثبـات، وذلك لأنّ الهدف مـن حصر التدبير بـالله سبحانـه هو حصره بـه علىٰ وجه الاستقلال، أي من يدبر بنفسه غير معتمد علىٰ شيء.

وأمّا المثبـت لتدبير غيره، فيراد منه انّـه يدبر بـأمره و إذنه وحـوله وقوته على النحو التبعي فكل مدبر في الكون من ملك وغيره فهو مظهر أمره ومنفِّذ إراداته.

وليس هذا بعزيـز في القرآن ترىٰ أنّه سبحانه ينسـب فعلاً لنفسه وفي الوقت نفسه ينسبه لشخـص آخر، ولا تناقض، لاختلاف النسبتين في الاستقـلال والتبعيـة، قـال سبحـانـه: ﴿**اللهُ يَتَـوَفى الأَنْفُـسَ حيـنَ مَوتِها**﴾[١] و قال: ﴿**حَتّىٰ إذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْموتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا**﴾.[٢]

فالتوفّي علىٰ وجه الاستقلال هو فعله سبحانه، وأمّا التوفّي بحوله وقدرته و إرادته وأمره فهو فعل الرسل.

وبعبارة أُخرى: هناك فعل واحد وهو التوفّي، يُنسب إلى الله بنحو

١. الزمر:٤٢.
٢. الأنعام :٦١.

وإلىٰ رسله بنحو آخر، دون أيّ تناف وتنافر بين هاتين النسبتين.

ونظيره قوله سبحانه: ﴿وَاللهُ يَكْتُبُ ما يُبَيِّتُون﴾ [١] وفي الوقت نفسه يعتبر الملائكة كَتَبَة الأعمال ويقول: ﴿بَلىٰ وَرُسُلُنا لَدَيْهِم يَكْتُبُونَ﴾. [٢]

وبذلك تقف علىٰ معنى التوحيد في التدبير والتأثير، وليس معناه خلوّ كلّ موجود من التأثير وانّ آثار الأسباب تفاض من الله سبحانه بلا واسطة، بل معناه انّ الآثار والمسببات، للأسباب نفسها، فالشمس مضيئة، والقمر منير والنار محرقة حقيقة، ولكن بجعل منه سبحانه، فالجميع من مظاهر أمره وإرادته.

ومن زعم انّ معنى التوحيد في الربوبية هو نفي الآثار عن الأسباب فقد نازع وجدانه، كما نازع الوحي المبين حيث إنّه يثبت الأثر الطبيعي لكلّ سبب وفي الوقت نفسه يربطهما بالله سبحانه، قال: ﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِراشاً وَالسَّماءَ بِناءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماء ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْداداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُون﴾. [٣]

تجد انّ الوحي اعترف بسببية الماء لخروج الثمرات الطيّبة وليست

١. النساء:٨١.

٢. الزخرف:٨٠.

٣. البقرة:٢٢.

هذه الآيـة وحيدة في هذا الباب، بـل في القرآن الكريم نماذج مـن هذا النوع، قـال سبحانـه: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَجَنّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَزَرْعٌ وَنَخيلٌ صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوان يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ في ذٰلِكَ لآياتٍ لِقَومٍ يعْقِلُونَ﴾.[1]

فتستدلّ الآيـة علىٰ أنّ تـدبيره سبحـانه فـوق تـدبير الفـواعـل الطبيعيـة، وذلـك بشهـادة انّ الجنات تثمـر أثماراً مختلفـة مـع وحـدة الشرائط والظروف المحيطة بها من وحـدة الماء والأرض، وهذا يدل علىٰ أنّ وراء الأُمور الطبيعية والأسباب المادية مدبـراً فوقها، وعلى الرغم من هذا الاعتراف إلاّ انّه لا ينفـي تأثير العوامل الطبيعية مـن دون أن يراها كافية في خلق هذا التنوّع.

هذا هـو منطق القرآن في التوحيـد والتدبير والربوبيـة، فمن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب العقائدية.

الرابع: التوحيد في التشريع والتقنين

والمراد منه انّ التشريع والتقنين للإنسان حـقّ مختص بالله تبارك وتعالى فهـو المشرِّع الوحيد للمجتمع الإنسـاني ولا يحق لأحد التقنين. قال سبحانه: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لله أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ﴾[2] والمراد من

١. الرعد:٤.
٢. يوسف:٤٠.

حصر الحاكمية بالله هو حصر الحاكمية التشريعية، فالآية تهدف إلىٰ أنّه لا يحق لأحد أن يأمر وينهىٰ ويحرِّم ويحلِّل سوى الله سبحانه ولأجل انّ المراد من الحكم المختصّ بالله سبحانه، هو التشريع أردفه بقوله: ﴿أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاهُ﴾ فالمراد من الأمر هنا هو الأمر التشريعي.

وقال سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَومٍ يُوقِنُون﴾[1] فالآية تقسِّم القوانين إلىٰ: إلهية وجاهلية، وبما انّ ما كان من صنع الفكر البشري ليس إلهياً فيكون حكماً جاهلياً البتة.

الخامس: التوحيد في الطاعة

والمراد انّه لا يجب طاعة سوى الله تعالى، فهو وحده يجب أن يُطاع وأن تمتثل أوامره ونواهيه، وأمّا طاعة غيره فتجب بإذنه وأمره وإلاّ كانت محرمة موجبة للشرك في الطاعة، قال سبحانه: ﴿وَما أُمِرُوا إلاّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّين﴾[2] والدين في الآية بمعنى الطاعة أي مخلصين الطاعة له ولا يطيعون غيره.

نعم تجب طاعة النبي ﷺ لأمره تعالىٰ، قال سبحانه: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلاّ لِيُطاعَ بِإِذْنِ الله﴾.[3]

١. المائدة:٥٠.

٢. البينة:٥.

٣. النساء:٦٤.

وفي آية أُخرىٰ عُدَّت طاعة النبي ﷺ من مظاهر طاعة الله وقال: ﴿وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُول فَقَدْ أَطاعَ الله﴾ .[١]

وعلى ضوء ذلك فإطاعة النبي ﷺ وأُولي الأمر والوالدين إنّما هو بإذنه وأمره سبحانه ولولاه لم تكن طاعتهم واجبة، بل ولا الانقياد لأوامرهم جائزة فهناك مطاع بالذات وهو الله وغيره مطاع بالعرض وبأمره.

السادس: التوحيد في الحاكمية

والمراد منه انّ الحكم على الناس حقّ مختص بالله تبارك و تعالى، و حكومة الغير يجب أن تنتهي إلى الله تبارك و تعالى، وذلك لأنّ الحكومة والحاكمية في المجتمع لا تنفك عن التصرف في النفوس والأموال وتحديد الحريات وذلك فرع ولاية، للحاكم على المحكوم ولولاها لعدَّ التصرف عدواناً وممّا لا شكّ فيه انّ الولاية لله المالك الحقيقي للإنسان الخالق له، والمدبر له، فلا يحقّ لأحد الإمرة على العباد إلّا بإذن منه سبحانه.

قال سبحانه: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ للهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفاصِلينَ﴾ .[٢] وقال سبحانه: ﴿أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ

---

١. النساء:٨٠.

٢. الأنعام:٥٧.

الْحاسِبينَ﴾[١] فالحكومة على الناس ـ سواء أكانت بصورة القضاء وفضِّ الخصومة أو بصورة الإمرة ـ حقّ لله، وغيره يمارسها بإذنه وإلاّ فيكون من قبيل حكم الطواغيت الذي شجبه القرآن في أكثر من آية.

السابع: التوحيد في العبادة

والمراد منه حصر العبادة بالله سبحانه وهذا هو الأصل المتفق عليه بين جميع طوائف المسلمين فلا يكون المسلم مسلماً إلاّ بعد الاعتراف بهذا الأصل، وشعار المسلمين الذي يردّدونه كل يوم هو قوله سبحانه: ﴿إِيّاكَ نَعْبُدُ﴾ فعبادة غيره إشراك للغير مع الله في العبادة، موجبة لخروج المسلم عن ربقة الإسلام.

وثمة أمر آخر وهو انّ الضابطة الكلية ـ حصر العبادة بالله سبحانه ـ أمر لا غبار عليه، لكن ثمة أُموراً ربما يتصور انّها من قبيل العبادة لغير الله، وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل الخامس، وعلى ذلك فالنزاع ليس كبروياً بل صغروي، أي لا نزاع لأحد في أنّه لا تجوز عبادة غيره، وإنّما الكلام في أنّ هذا الأمر هل هو عبادة غيره سبحانه أو لا؟

مثلاً هل إقامة الاحتفالات في الأعياد والمهرجانات الدينية عبادة

١. الأنعام:٦٢.

لصاحب الذكرى، أو هو تكريم وتبجيل وتعظيم له، فلو كانت عبادة تكون محرمة وشركاً بلا شك، ولو كان تكريماً وتعظيماً له يكون أمراً جائزاً بل مستحباً.

وهناك أمثلة أُخرى ستمر عليك في الفصل الخامس،غير انّ المهم في المقام هو تفسير العبادة تفسيراً منطقياً وتحديدها تحديداً دقيقاً ليعلم من خلالها ما هو الداخل تحتها أو الخارج عنها.

وهذا هو الذي يتكفل بيانه الفصلان التاليان.[1]

١. أحدهما يتضمن بيان حقيقة العبادة ومقوماتها و الآخر يتضمن تعريف العبادة، والأوّل مقدمة للآخر.

الفصل الثالث

حقيقة العبادة ومقوّماتها

إنّ مفهوم العبادة من المفاهيم الواضحة كالماء والأرض لكن مع وضوح مفهومهما ربما يصعب التعبير عن حقيقتهما في قالب الألفاظ.

وهكذا مفهوم العبادة من المفاهيم الواضحة مفهوماً ومصداقاً، ولكن ربما يصعب تحديدها تحديداً منطقياً يكون جامعاً للأفراد ومانعاً للأغيار مع وضوح مصاديقها غالباً.

فخضوع العاشق الولهان للمعشوق، أو الجنديّ لرئيسه، وشدُّ الرحال إلىٰ زيارة كبار الشخصيات كلّها خضوع وخشوع وليست بعبادة.

والرجوع إلى اللغة لا يسمن ولا يغني من جوع، لأنّ أصحاب المعاجم لم يكونوا بصدد تحديد مفهوم العبادة حتى يُتخذ ما ذكروه مقياساً وتعريفاً جامعاً ومانعاً. فانّهم فسروه بالخضوع والتذلّل وما شابههما.

يقول ابن منظور في لسان العرب: أصل العبودية الخضوع

والتذلّل.

ويقول الراغب في المفردات: العبوديّة: التذلّل، والعبادة أبلغ منها لأنّها غاية التذلّل.

وفي القاموس المحيط: العبادة: الطاعة.

إلىٰ غير ذلك من التعاريف المتقاربة .

و من المعلوم انّ هذه تعاريف بالمعنى الأعم، إذ ليس مجرّد الخضوع والتذلّل ولا غايتهما حداً للعبادة، فانّ حبّ العاشق للمعشوق لا يعد عبادة له ، كما انّ تقبيل المصحف الكريم ليس عبادة للكتاب، وأوضح من ذلك انّ سجود الملائكة لآدم، كقوله سبحانه: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلاّ إِبْلِيسَ أَبىٰ**﴾[1] وسجود النبي يعقوب عليه السلام وزوجه وأولاده ليوسف عليه السلام ، كما في قوله سبحانه: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً**﴾[2] لم يكن عبادة للمسجود له، أعني آدم أبا البشر ولا النبي يوسف عليه السلام .

وقد بلغ خضوع الصحابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكان انّهم كانوا يتبركون بفضل وضوئه وشعر رأسه، والإناء الذي يشرب منه الماء، والمنبر الذي كان يجلس عليه، ومن الواضح انّ هذا النوع من التبرّك غاية الخضوع منهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومع ذلك لم يبلغ حدَّ العبادة ولم يصفهم أحد بأنّهم

---

١. الحجر:٣٠ـ٣١.

٢. يوسف:١٠٠.

كانوا يؤلّهون النبي ﷺ ويعبدونه كلّ ذلك يجرّنا إلى أن نقوم بتعريفها حتى يعم جميع المصاديق ويمنع عن دخول غيرها.

والطريق الواضح لحلّ هذه المعضلة هو الوقوف على مقومات العبادة و إمعان النظر في العبادات الصحيحة التي قام بها المسلمون على مرّ العصور، وفي العبادات والطقوس الباطلة التي كانت تُمارَس من قِبَل الوثنيين في الجاهلية والعصر الحاضر حتى نقف على الخصوصيات المكنونة في عمل الجميع والتي علىٰ ضوئها تطلق عليها عبادة، إذاً فتحليل أعمالهم والوقوف على الميزات الموجودة فيها والخصوصيات الكامنة يوقفنا أوّلاً على حقيقة العبادة، ويرسم لنا ثانياً تعريفاً جامعاً ومانعاً على نحو يكون مقياساً لتمييز العبادة عن غيرها.

و إليك تحليلها:

لا شكّ انّ الجامع بين جميع أقسام العبادات صحيحها وباطلها هو الخضوع للمعبود سواء أكان مستحقاً له كالله سبحانه أو غير مستحق له كالأصنام والأوثان أو الأجرام السماوية من النجم والقمر والشمس والأرواح والمثل النورية المجردة، فالعبادة في جميع تلك المراحل تتمتع بالخضوع وهو عمل قائم بالجوارح كالرأس واليد وغيرهما، فالعابد يخضع بجلّ جوارحه أو بشيء منها أمام المعبود وهذا أمر لاسترة فيه.

ولكن هناك خصوصية أُخرى موجودة في الجميع وهو أمر قائم

بالضمير و القلب ولعلّه الأساس لإضفاء العبادة على العمل الجارحي، وهـي عبارة عـن اعتقاد خـاص با لمعبـود الذي يكـون مبدأً للخضـوع الظاهري.

فالواجب علينا بيان تلـك الخصوصية الموجودة في جميع الأقسام و إليك التوضيح:

أمّا الموحدون الذين يعبدون الله تبارك و تعالى، فخضوعهم نابع عن اعتقادهم بأنّه خالق للكون والإنسان، والمدبر للعالم الذي بيده كلّ شيء في الدنيا والآخـرة، وليس هناك أي خالـق ومدبر ومالـك لمصالح العباد ومصائرهم في العاجل والآجل سواه.

أمّا العـاجل فيعتقدون أنّ الخلـق والتدبير والاحياء والامـاتة و انزال المطـر والخصب و الجدب وكلّ ما يعـدّ ظاهرة طبيعية مـن فعله سبحانه لا من فعل غيره الذي لا يملك أي تأثير في مصير الإنسان.

أمّا الآجـل فيعتقدون أنّ الشفاعـة ومغفرة الذنـوب وغيرهما من الأُمور الأُخروية بيده تعالى.

وعلى ضـوء ذلك فـالعبـادة هو الخضـوع النـابـع عن الاعتقـاد بخالقيته ومدبريته وكون أزمَّـة الأُمور ومصير الإنسان في الدنيا والآخرة بيده.

هذا حال الموحدين وأمّا المشركون في عصر الرسالة وقبله وبعده فخضوعهم لمعبوداتهم كان نابعاً عن اعتقاد خاص يضادُّ ذلك، فاللازم

هو تحصيل ذلك الاعتقاد.

يظهر من بعض الآيات انّ العرب في العصر الجاهلي كانوا موحدين في الخالقية، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ العَلِيم﴾ (١) ولكنّهم في الوقت نفسه كانوا مشركين في التدبير الذي نعبّر عنه بالربوبية، فكانوا يعتقدون بأرباب، مكان الرب الواحد، ولكلّ رب شأن في عالم الكون.

ويدل علىٰ ذلك طائفة من الآيات نذكر بعضها:

١. انّ الموحد يرىٰ انّ العزة بيد الله سبحانه ومنطقه، قوله سبحانه: ﴿فلِلّه الْعِزَّةُ جَميعاً﴾. (٢)

ولكن المشرك في عصر الرسالة كان يرىٰ انّ العزة بيد الأصنام والأوثان كما يحكي عن عقيدته قوله سبحانه: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً﴾. (٣)

٢. انّ الموحد يرى انّ النصر بيد الله تبارك و تعالىٰ و يردّد علىٰ لسانه، قوله سبحانه: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الحَكِيم﴾. (٤)

ولكن المشرك في عصر الرسالة كان يعتقد بأنّ النصر بيد الآلهة

---

١. الزخرف:٩.

٢. فاطر:١٠.

٣. مريم:٨١.

٤. آل عمران:١٢٦.

والأرباب المزيّفة، قال سبحانه: ﴿وَاتَّخذوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾.[1]

٣. انّ الموحد يؤمن بأنّ أمر التدبير بيد الله ، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغيْث﴾ .[2] كما انّ بيده الجدب والخصب قال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّر الصّابِرينَ﴾ .[3]

ولكن المشرك كان يستمطر بالانواء بل يستمطر بالأصنام.

يقول ابن هشام في سيرته: كان عمرو بن لُحَيّ أوّل من أدخل الوثنية إلىٰ مكة وضواحيها، فقد رأىٰ في مآب من أرض البلقاء من بقاع الشام أُناساً يعبدون الأوثان وعندما سألهم عمّا يفعلون قائلاً: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدونها؟

قالوا: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتُمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنماً فأسير به إلىٰ أرض العرب فيعبدوه؟

وهكذا استحسن طريقتهم واصطحب معه إلىٰ مكة صنماً كبيراً يقال له «هبل» ووضعه علىٰ سطح الكعبة المشرّفة ودعا

---

١. يس:٧٤.

٢. لقمان:٣٤.

٣. البقرة:١٥٥.

الناس إلىٰ عبادته. [١]

٤. ثمّ إنّ الموحد يرىٰ انّ غفران الذنوب والشفاعة بيده سبحانه فليس هناك غافر للذنوب إلاّ الله سبحانه ولا شفيع إلاّ بإذنه، يقول سبحانه: ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاّ الله﴾ [٢] وقوله سبحانه: ﴿قُلْ للهِ الشَفاعةُ جَميعاً لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْض﴾. [٣] وقال سبحانه: ﴿وَلاٰ يَمْلِكُ الَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفاعَة﴾. [٤]

وأمّا المشرك فكان يعتقد بأنّ الشفاعة بيد الآلهة والأرباب المزيفة، والشاهد عليه انّ الآيات الماضية نزلت رداً علىٰ عقيدة المشركين حيث كانوا يعتقدون بأنّهم مالكون مقام الشفاعة بتفويض من الله سبحانه ولأجل ذلك يؤكد على نفي تلك العقيدة في آيات أُخرى، ويقول: ﴿لاٰ يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إلاّ مَنِ ٱتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰن عَهْداً﴾[٥] وقال: ﴿وَلاٰ تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إلاّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [٦] وقال: ﴿وَلاٰ يَملِكُ الَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفاعَةَ إلاّ مَنْ شَهِدَ بِالحَقّ﴾. [٧]

---

١. انظر السيرة النبوية: ١/ ٧٦ـ٧٧.

٢. آل عمران:١٣٥.

٣. الزمر:٤٤.

٤. الزخرف:٨٦.

٥. مريم:٨٧.

٦. سبأ:٢٣.

٧. الزخرف:٨٦.

كما يرى انّ مغفرة الذنوب بيد الآلهة والشاهد على ذلك (وصفه سبحانه) نفسه بأنّه «غافر الذنب» .[١]

٥. انّ الموحد يرى مصيره عاجلاً و آجلاً بيده سبحانه: وهذا هو إبراهيم الخليل رائد التوحيد يعلن عقيدته أمام الملأ من المشركين، يقول سبحانه حاكياً عنه: **﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِين* وَالَّذي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسقين* وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين* وَالذي يُميتُني ثُمَّ يُحيين﴾** .[٢]

ولكن المشرك يرى كلّ ذلك أو أكثره بيد آلهته وأربابه، كما يعرب عنه قوله سبحانه: **﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله﴾**[٣] ويقول تعالى حاكياً عن لسان المشركين يوم الحشر عند ندمهم عن عبادة الآلهة، **﴿تاللهِ إِنْ كُنّا لَفي ضَلالٍ مُبين * إِذْ نُسَويكُمْ بِرَبِّ الْعالَمين﴾** .[٤]

٦. انّ الموحد يرى أمر التشريع والتحليل والتحريم بيده سبحانه، ويقول: **﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ للهِ﴾**.[٥]

ولكن المشرك يرى انّ التشريع بيد الأحبار والرهبان، قال

---

١. راجع غافر:٣.

٢. الشعراء:٧٨ـ ٨١.

٣. البقره:١٦٥.

٤. الشعراء:٩٧ـ ٩٨.

٥. يوسف:٤٠.

سبحانه: ﴿اتَّخَذوا أَحْبارَهُمْ وَرُهبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ الله﴾ [١] فقد كانوا على اعتقاد انّ الأحبار والرهبان يملكون مقام التشريع فلهم أن يحلوا الحرام أو يحرموا الحلال بأخذ شيء من حطام الدنيا.

إلى غير ذلك ممّا يبين عقيدة المشركين في العصر الجاهلي ويكشف عن أنّ خضوع المشركين لم يكن خضوعاً مجرداً نابعاً عن الحب المجرد بل ناجماً عن عقيدة خاصة في الآلهة والأرباب، والاعتقاد بأنّ أمر التدبير بعضه أو كلّه بيدهم وانّ مصيرهم موكول إليهم.

نعم لم تكن عقيدتهم في ربوبيتهم علىٰ درجة واحدة، بل كانت تختلف حسب اختلاف الظروف والشرائط.

فطائفة منهم تعتقد بسعة ربوبية الأرباب والآلهة كما كان عليه المشركون في عصر إبراهيم حيث كانوا يعتقدون بربوبية النجم والقمر والشمس للموجودات الأرضية كما حكاه سبحانه عنهم في عدّة من الآيات، قال سبحانه: ﴿وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْراهيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنينَ* فَلَمّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأىٰ كَوكَباً قالَ هٰذا رَبِّي فَلَمّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الآفِلين ...﴾ .[٢]

وطائفة أُخرى تعتقد بضيق ربوبية تلك الآلهة وتخصها ببعض ما

---

١. التوبة:٣١.
٢. الأنعام:٧٥ـ٨٠.

يمتُّ إلى الإنسان بصلة كاختصاصهم بحقّ الشفاعة والمغفرة والعزّة والنصرة في الحروب إلىٰ غير ذلك، و من أراد التفصيل فليرجع إلىٰ كتب الملل والنحل.[1]

والذي كان يجمع المشركين في معسكر واحد هو اعتقادهم بمالكية الآلهة شيئاً من الربوبية و إدارة الكون وحياة الإنسان.

ونلفت نظر القارئ إلىٰ بعض النماذج ممّا أثر عن المشركين في مجال عقيدتهم.

قال زيد بن عمرو بن نوفل الذي ترك عبادة الأصنام قبل أن يبعث النبي ﷺ حيث يحكي عن عقيدته في الجاهلية ويقول:

أرب واحد أم ألف ربّ ... أدين إذا تُقسّمت الأُمور
عزلت اللات والعزىٰ جميعاً ... كذلك يفصل الجلد الصبور
فلا عزّىٰ أدين ولا ابنتيها ... ولا صنم بني عمرو أزور

ويقول أيضاً:

إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه
إلــه ولا ربّ يكون مداينــاً[2]

١. الشهرستاني: الملل والنحل: ٢/ ٢٤٤.
٢. الآلوسي: بلوغ الارب: ٢/ ٢٤٩.

هذه الأشعار وسائر الكلمات المروية قبل مبعث النبي ﷺ تثبت أمراً واحداً، و هو انّ آلهتهم كانت تتمتع حسب عقيدتهم بقوة غيبية مالكة لها مؤثرة في الكون ومصير الإنسان، وانّ هؤلاء آلهة وأرباب والله سبحانه إله الآلهة وربّ الأرباب.

ويمكن أن نتطرق إلى المواقف التي اتّخذوها أمام أصنامهم وأوثانهم من خلال استعراض الآيات التي تندد بالمشركين وتشجب عملهم.

١. ﴿انَّ الَّذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ﴾ .[١]

٢. ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحويلاً﴾ .[٢]

٣. ﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ﴾ .[٣]

٤. ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ﴾ .[٤]

٥. ﴿أَمَّنْ هذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمٰن إِنِ الْكافِرُونَ إِلاّ في غُرُور﴾ .[٥]

---

١. الأعراف:١٩٤.

٢. الإسراء:٥٦.

٣. يونس:١٠٦.

٤. فاطر:١٤.

٥. الملك:٢٠.

٦. ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا لا يَسْتَطِيعونَ نَصرَ أَنْفُسِهِمْ وَلا هُمْ مِنْها يُصْحَبُونَ﴾.[1] إلى غير ذلك من الآيات المندّدة بعمل المشركين حيث تجد انّه سبحانه يرشدهم إلى الحقيقة الناصعة ويبطل عقيدتهم المزيفة بالحجج التالية:

أ. انّهم ﴿عباد أَمْثالكُمْ﴾ فلا ربوبية لهم كلاً أو بعضاً.

ب. ﴿فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرّ﴾ فلا ربوبية لهم حتى يكشفوا الضرّ عنكم.

ج. لا ينْفَعُونَ وَلا يضُرُّونَ، وَلا يسْمَعُون فكيف تعبدونهم؟

كلّ ذلك يكشف عن انّ المخاطبين كانوا على اعتقاد راسخ بأنّ للآلهة قدرة غيبية فوق الإنسان وانّ زمام كشف الضرّ بأيديهم فينفعون ويضرّون.

إلى هنا تبين انّ حقيقة العبادة قائمة بأمرين:

الأوّل: يرجع إلى جوارح الإنسان المشعرة بالتعظيم والخضوع.

الثاني: يرجع إلى عقيدة الخاضع في حقّ المخضوع له بنحو من الأنحاء من كونه خالقاً أو رباً أو من بيده مصير الإنسان كلاً أوجزءاً فلا تتحقق مفهوم العبادة إلاّ بتحققهما.

نعم يبقى هنا سؤال وهو انّ العرب في العصر الجاهلي لو كانوا

---

١. الأنبياء:٤٣.

معتقدين بربوبيّة الآلهة، فلماذا يحكي عنهم القرآن بأنّ عبادتهم كانت لأجل التقرب بعبادتهم إلى الله فقط لا غير، قال سبحانه: ﴿**أَلَا لِلهِ الدِّينُ الْخالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَولياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفىٰ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ في ما هُمْ فيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفّارٌ**﴾.[1]

حيث يحكي عنهم سبحانه قولهم: ﴿**ما نعبدهم إلّا ليقربونا إلى الله زلفىٰ**﴾ أي يقولون: نحن لا نعدُّهم مؤثرين في حياتنا ومصيرنا وإنّما نعبدهم لنتقرب بعبادتهم إلى الله.

والجواب: انّه لا شكّ حسب ما مرّ من الآيات انّهم كانوا يتّخذونهم آلهة وأرباباً وكانوا يستمطرون ويعتزّون بهم إلىٰ غير ذلك من صفات الآلهة، ومع ذلك كيف يمكن ان تُحصر عبادتهم في طلب التقرب إلى الله، وهذا يدلنا إلى القول بأنّهم كانوا يقولون في ألسنتهم ما ليس في قلوبهم ولذلك نرى انّه سبحانه يقول في ذيل الآية ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَهْدي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفّار**﴾ مشيراً إلىٰ أنّهم كاذبين في ذلك المدّعىٰ وإنّما يعبدونهم لغايات دنيوية، وهو اكتساب العزة والنصرة والخصب والنعمة والشفاء والشفاعة.

وحيث إنّه طال الكلام في هذا الفصل الّذي تناولنا فيه بيان مقوّمات العبادة نحيل تعريفها إلى الفصل اللاحق.

---

١. الزمر:٣.

الفصل الرابع

تعريف العبادة

إذا وقفت علىٰ مقوّمات العبادة، فيكون من السهل تعريف العبادة تعريفاً منطقياً جامعاً للأفراد ومانعاً للأغيار بأحد التعاريف التالية:

التعريف الأوّل

العبادة هي الخضوع عن اعتقاد بأُلوهية المخضوع له، فما لم يكن القول والعمل ناشئين من الاعتقاد بالأُلوهية، لا يكون الخضوع والتعظيم والتكريم عبادة.

والذي يجب أن نلفت نظر القارئ إليه، هو انّ المراد من الأُلوهية ليست المعبودية كما هو الرائج في الألسن، بل المراد منها الاعتقاد بكونه إله العالم وخالقه ومدبره وانّ أزمة الأُمور كلّها أو بعضها بيده، فهذا هو المراد من الإله، والأُلوهية، فلفظ الإله كلي و(الله) لفظ الجلالة علم، فليس بينهما فرق إلاّ بالكلية والجزئية.

والذي يدل على ذلك(الخضوع النابع عن الاعتقاد بالأُلوهيّة) انّ بعض الآيات تأمر بعبادة الله وتنهىٰ عن عبادة غيره مدللاً بأنّه لا إله غيره، يقول: ﴿يَا قَومِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ﴾.(١)

ومعنى ذلك أنّ الذي يستحق العبادة من كان إلهاً وليس هو إلاّ الله، عندئذٍ كيف تعبدون ما ليس بإله حقيقة و إنّما تدّعون له الأُلوهية؟ وكيف تنبذون عبادة الله وهو الإله الذي يجب أن يعبد دون سواه؟ وقد وردت هذه الآية بنصها أو مضمونها في كثير من الآيات.(٢)

فهذه التعابير تفيد انّ العبادة هي ذلك الخضوع والتذلّل النابعين من الاعتقاد بأُلوهية المعبود، إذ نلاحظ ـ بجلاء ـ كيف استنكر القرآن على المشركين عبادة غير الله بأنّ هذه المعبودات ليست آلهة وانّ العبادة من شؤون الأُلوهية .وحيث إنّ هذا الوصف لا يوجد إلاّ في الله سبحانه لذلك تجب عبادته دون سواه.

التعريف الثاني

العبادة هي الخضوع أمام من يعتقد انّه ربّ يملك شأناً من شؤون وجوده وحياته وشؤونه في آجله وعاجله.

سواء كان أمراً مادّياً كالعزّة و النصر، أم معنويّاً كمغفرة الذنوب.

١. الأعراف:٥٩.

٢. وللقارئ الكريم أن يراجع في ذلك الآيات التالية: الأعراف:٦٥، ٧٣، ٨٥؛ هود:٥٠، ٦١، ٨٤؛ الأنبياء:٢٥؛ المؤمنون:٢٣، ٣٢؛ طه :١٤.

والمقصود من الربّ، هو المالك لشؤون الشيء، المتكفّل لتدبيره وتربيته، ولذلك تكون العبودية في مقابل الربوبية.

ويدل علىٰ ذلك طائفة من الآيات التي تعلل الأمر بحصر العبادة في الله وحده بأنّه الربّ لا غير، وإليك بعض هذه الآيات:

﴿وَقالَ الْمَسيحُ يا بَني إِسْرائيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبّي وَرَبَّكُمْ﴾.[١]

﴿إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.[٢]

﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذا صِراطٌ مُسْتَقِيم﴾.[٣]

وقد ورد مضمون هذه الآيات في آيات أُخرى هي: يونس: ٣؛ الحجر: ٩٩؛ مريم ٣٦، ٦٥؛ الزخرف: ٦٤.

وعلىٰ كلّ حال فانّ أوضح دليل على هذا التفسير للفظ العبادة هو الآيات التي سبق ذكرها.

التعريف الثالث

العبادة هي الخضوع أمام من نعتقد انّه إله العالم، أو من فوض إليه أعماله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة التي تعد من الأفعال الكونية أو التقنين والتشريع وحقّ الشفاعة والمغفرة التي تعد من

١. المائدة:٧٢.
٢. الأنبياء:٩٢.
٣. آل عمران:٥١.

الأفعال التشريعية.

إنّ الموحد يعبد الله سبحانه بما انّه قائم بهذه الأفعال، من دون أن يفوِّض شيئاً منها إلىٰ مخلوقاته، ولكنّ المشركين مع اعتقادهم بأنّ آلهتهم وأربابهم مخلوقون لله تبارك و تعالى، لكن كانوا علىٰ اعتقاد انّه فُوض إلى الآلهة أُمور التكوين والتشريع كلّها أو بعضها، فلذلك كانوا يستمطرون بالأنواء والأصنام ويطلبون الشفاعة منهم بتصور انّهم مالكون لحقّ الشفاعة، ويطلبون منهم النصرة والعزة في الحرب بزعم انّ الأمر بيدهم وانّه فوض إليهم.

وعلىٰ ضوء هذه التعاريف الثلاثة يظهر الفرق الجوهري بين التوحيد في العبادة والشرك فيها، فكلّ خضوع نابع عن اعتقاد خاص بإلهية المخضوع له وربوبيته أو تفويض الأمر إليه فهو عبادة للمخضوع له سواء كان ذلك الاعتقاد الخاص في حقّ المعبود حقاً ـ كما في الله سبحانه ـ أو باطلاً كما في حقّ الأصنام. وعلى كلّ تقدير فالخضوع الناجم عن هذا النوع من الاعتقاد، عبادة للمخضوع له.

وأمّا لو كان الخضوع مجرداً عن هذه العقيدة فهو تعظيم وتكريم، وليس بعبادة، ولا يكون الخاضع مشركاً، ولا عمله موصوفاً بالشرك، غاية الأمر ربما يكون حلالاً كما في الخضوع أمام الأنبياء والأولياء ومن وجب له حقّ بالتعليم والتربية، وربما يكون حراماً كالسجود أمام النبي ﷺ والولي عليه السلام وغيرهما لا لأنّه عبادة للمسجود له، بل لانّه لا يجوز السجود لغيره سبحانه وانّ السجود خضوع لا يليق بغيره.

وبمثل هذا البيان تتميز العبادة عن التعظيم، فتقبيل المصحف وضرائح الأنبياء وما يمتّ إليهم بصلة إذا كان فارغاً عن اعتقاد الأُلوهية والربوبية والتفويض فهو ليس عبادة للمخضوع له.

إذا عرفت تلك الضوابط فلنتناول بالبحث الموضوعات الخاصة التي ربما يتصور انها شرك وعبادة لغير الله أو انّها بدعة دخلت في الدين أو حرام كسائر المحرمات، ويأتي كلّ ذلك في ضمن الفصل الآتي.

الفصل الخامس

تطبيقات

على ضوء تعريف العبادة

ينطوي هذا الفصل على مسائل صارت ذريعة للاختلاف والتشتت، وهي لا تمس العقيدة بصلة، وإنّما هي مسائل فقهية تستنبط أحكامها من الكتاب والسنّة وهذه المسائل هي كالتالي:

١ . زيارة القبور.

٢ . شدّ الرحال إلىٰ زيارة قبر النبي ﷺ.

٣. البناء على القبور.

٤ . بناء المساجد على القبور والصلاة فيها.

٥ . التوسّل بالأنبياء والأولياء والصالحين وأقسامه.

٦ . انتفاع الموتىٰ بأعمال الأحياء والنذر لهم.

٧. التبرّك بآثار الأنبياء والصالحين.

٨. الاحتفال بميلاد النبي ﷺ.

٩. البكاء على الميت.

١٠. الحلف على الله بحقّ الأولياء.

١١. الحلف بغير الله سبحانه.

١٢. تسمية المواليد باضافة العبد إلى غير الله سبحانه.

وإليك البحث فيها واحدة تلو الأُخرى:

١

زيارة القبور[1]

إنّ زيارة القبور تنطوي علىٰ آثار أخلاقية وتربوية هامة، لأنّ مشاهدة المقابر التي تضمُّ في طياتها مجموعة كبيرة من رفاة الذين عاشوا في هذه الحياة، ثمّ انتقلوا إلى الآخرة، تؤدي إلىٰ الحد من الطمع والحرص على الدنيا، وربما يُغيِّر سلوك الإنسان فيترك الظلم و المنكر ويتوجه إلى الله والآخرة.

لذا يقول الرسول الأعظم ﷺ: «زوروا القبور فانّها تذكّركم بالآخرة».[2]

نعم يستفاد من بعض الأحاديث انّ النبي ﷺ نهىٰ يوماً عن زيارة القبور ثمّ رخّصها، ولعلّ النهي كان لملاك آخر، وهو أنّ أكثر الأموات ـ يومذاك ـ كانوا من المشركين، فنهى النبي ﷺ عن زيارتهم،

---

١. انّ زيارة القبور من المسائل الفرعية الفقهية، ولا تمتُّ إلى العقيدة الإسلامية بصلة، ولا يتّهم القائل بجوازها بالشرك، وهذه المسألة شأن سائر المسائل يرجع فيها إلى الكتاب والسنة حتى يعلم جوازها أو عدم جوازها.

٢. شفاء السقام: ١٠٧.

ولمّا كثر المؤمنون بينهم رخّصها بإذن الله عزّ وجلّ، وقال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانّها تزهد في الدنيا وتذكر في الآخرة».[١]

وقالت عائشة: انّ رسول الله رخّص في زيارة القبور، وقالت: إنّ النبي ﷺ قال: أمرني ربّي أن آتي البقيع وأستغفر لهم. قلتُ: كيف أقول يا رسول الله ﷺ ؟

قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمؤمنات يرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين، انّا إن شاء الله بكم لاحقون.[٢]

وجاء في الصحاح والمسانيد صور الزيارات التي زار بها النبي ﷺ البقيع.

قال مؤلف كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة»: زيارة القبور مندوبة للاتعاظ وتذكّر الآخرة وتتأكد يوم الجمعة، وينبغي للزائر الاشتغال بالدعاء والتضرّع، والاعتبار بالموتىٰ، وقراءة القرآن للميت فانّ ذلك ينفع الميت على الأصح، وبما ورد أن يقول الزائر عند رؤية القبور: «السّلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون» ولا فرق في الزيارة بين كون المقابر قريبة أو بعيدة[٣] بل يندب السفر لزيارة الموتىٰ خصوصاً مقابر الصالحين.

---

١. سنن ابن ماجة: ١/ ١١٧، باب ما جاء في زيارة القبور.
٢. لاحظ صحيح مسلم: ٢/ ٦٤، باب ما يقال عند دخول القبور.
٣. إلاّ الحنابلة فقالوا إذا كانت القبور بعيدة فزيارتها مباحة لا مندوبة.

هذه كلمات فقهاء المذاهب الأربعة حول زيارة القبور.[١]

زيارة قبر النبي ﷺ

هذا كلّه حول زيارة قبور المسلمين، وأمّا زيارة قبر النبي ﷺ وأئمّة الإسلام والشهداء والصالحين فلا شكّ انّ لزيارتهم نتائج بنّاءة نشير إليها، كما نشير إلى الأحاديث الواردة حول زيارة قبورهم ليكون البحث مرفقاً بالتحليل وجامعاً للدليل.

أمّا التحليل: انّ زيارة مراقد هذه الشخصيات هو نوع من الشكر والتقدير علىٰ تضحياتهم وإعلام للجيل الحاضر بأنّ هذا هو جزاء الذين يسلكون طريق الحقّ والهدى، والفضيلة والدفاع عن المبدأ والعقيدة، وهذا لا يدفعنا إلىٰ زيارة قبورهم فحسب، بل إلى إبقاء ذكرياتهم حية ساخنة، والمحافظة على آثارهم وإقامة المهرجانات ، في ذكرىٰ مواليدهم،وعقد المجالس وإلقاء الخطب المفيدة في أيّام التحاقهم بالرفيق الأعلىٰ، وهذا شيء يدركه كلّ ذي مسكة.

ولأجل ذلك ترى انّ الأُمم الحية يتسابقون في زيارة مدفن رؤسائهم وشخصياتهم الذين ضحُّوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل نجاة الشعب، وإنقاذه من مخالب المستعمرين والظالمين، ويقيمون المجالس لاحياء معالمهم، دون أن يخطر ببال أحد انّ هذه الأُمور عبادة

١. الفقه على المذاهب الأربعة:١/ ٥٤٠.

لهم، فأين التعظيم للشخصيات من عبادتهم؛ فانّ التعظيم تقدير لجهودهم، والعبادة تأليههم واتخاذهم أرباباً. أفهل هناك من يخلط بين الأمرين منّا أو من غيرنا؟! كلاّ ،لا، شريطة الإمعان في مقوّمات العبادة وتعريفها الماضيتين في الفصلين السابقين.

إذا وقفت على الآثار البنّاءة لزيارة مطلق القبور وزيارة قبور الأولياء والصالحين، نذكر خصوص ما ورد من الروايات التي جاء فيها الحث علىٰ زيارة قبر النبي الأعظم ﷺ.

أخرج أئمّة المذاهب الأربعة وحفاظها في الصحاح والمسانيد أحاديث جمّة في زيارة قبر النبي ﷺ نذكر شطراً منها:

١. عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: من زار قبري وجبت له شفاعتي.

٢. عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: من جاءني زائراً لا تحمله إلاّ زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة.

٣. عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: من حجّ فزار قبري بعد وفاتي كمن زارني في حياتي.

٤. عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: من حجّ البيت ولم يزرني فقد جفاني.

٥. عن عمر مرفوعاً: من زار قبري أو من زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً.

٦. عن حاتـم بن أبي بلتعه مرفـوعاً: من زارني بعد مـوتي فكأنّما زارني في حياتي.

٧. عن أبي هريـرة مرفوعاً: من زارني بعد مـوتي فكأنّما زارني وأنا حيّ، ومن زارني كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة.

٨. عن أنس بن مالك مرفوعاً: من زارني في المدينة محتسباً كنت له شفيعاً.

٩. عن أنس بن مالك: من زارني ميتاً فكانّما زارني حيّاً، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحد من أُمّتي له سعة ثمّ لم يزرني فليس له عذر.

١٠. عن ابـن عباس مرفـوعاً: من زارني في ممـاتي كمن زارني في حياتي، ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً، أو قال شفيقاً.

فهذه أحاديـث عشرة أخرجها الحفاظ مـن المحدّثين، وقد جمع أسانيدها وطرقها وصححها تقي الدين السبكي (المتوفّى سنة ٧٥٦هـ) في كتاب شفاء السقـام في زيارةخير الأنام فمن أراد التفصيـل فليرجع إليه.[١]

---

١. شفـاء السقام في زيـارة خير الأنام، البـاب الأوّل في الأحـاديث الـواردة في زيارتـه؛ ولاحظ أيضاً وفاء الوفاء بأحوال دار المصطفى: ٤/ ١٣٣٦.

ونظم الشيخ شعيب الحريفيش في «الـروض الفائق» هذا المعنى في قصيدة مطلعها:

مــــن زار قبر محمــــــد ... نــــال الشفــاعــة في غـــد
بـــــالله كــــرِّر ذكـــــره ... وحــــديثــه يـــا منشـــدي
واجعــــل صـــلاتـــك دائماً ... جهـــراً عليـــه تهتـــدي
فهـــو الــرَّســول المصطفــىٰ ... ذو الجود والكـــفّ النــديّ
وهـــو المشفَّـــع في الــورىٰ ... مـــن هـــول يـــوم الموعـــد
والحوض مخصـــوص بــــه ... في الحشر عـــــذب المورد
صلى عليــــــه ربّنــــــا ... مـــا لاح نجـم الفــرقــد[1]

١. الروض الفائق: ٢/ ٢٣٨.

٢

شدّ الرحال إلىٰ زيارة قبر النبي ﷺ

كان الكلام في استحباب زيارة النبي ﷺ للحاضر في المدينة، وأمّا استحباب السفر للغائب عنها فيدل عليه أُمور:

الأوّل: ما ورد في الأحاديث من الحث علىٰ زيارة النبي ﷺ، فانّها بين صريح في الغائب أو مطلق يعمُّ المقيم والمسافر والحاضر والغائب.

فمن القسم الأوّل ما رواه عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ انّه قال:

من جاءني زائراً لا تحمله إلاّ زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة.

فهذا صريح في الغائب وغيره.

الثاني: سيرة النبي ﷺ فانّه كان يشدّ الرحال إلى زيارة قبور شهداء أُحد.

أخرج أبو داود عن ربيعة ـ يعني ابن الهُدير ـ عن طلحة بن عبيد الله، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يريد قبور الشهداء حتى

إذاأشرفنا على حرّة واقم[١] فلما تدلّينا منها وإذاً بقبور بمحنية[٢]، قال: قلنايا رسول الله: أقبور اخواننا هذه.

قال: قبور أصحابنا، فلما جئنا قبور الشهداء، قال: هذه قبور إخواننا.[٣]

الثالث: إطباق السلف والخلف علىٰ شدّ الرحال إلى زيارة النبيﷺ،لأنّ الناس لم يزالوا في كلّ عام إذا قضوا الحج يتوجهون إلىٰ زيارته و منهم من يفعل ذلك قبل الحج.

قال السبكي : هكذا شاهدناه وشاهده من قبلنا وحكاه العلماء عن الأعصار القديمة... وكلّهم يقصدون ذلك ويعرجون إليه وإن لم يكن طريقهم، ويقطعون فيه مسافة بعيدة وينفقون فيه الأموال، ويبذلون فيه المهج، معتقدين انّ ذلك قربة وطاعة، واطباق هذا الجمع العظيم من مشارق الأرض ومغاربها على مرّ السنين وفيهم العلماء والصلحاء وغيرهم يستحيل أن يكون خطأ وكلّهم يفعلون ذلك على وجه التقرب به إلى الله عزّ وجلّ ، ومن تأخّر عنه من المسلمين فإنّما يتأخر بعجز أو تعويق المقادير مع تأسفه عليه وودّه لو تيسّر له، و من ادّعى أنّ هذا الجمع العظيم مجمعون على خطأ فهو المخطئ.

١. الحرّة: الأرض ذات الحجارة، واقم: أُطم من اطام المدينة و إليه تنسب الحرّة.

٢. المحنية: انعطاف الوادي.

٣. سنن أبي داود: ٢/ ٢١٨ برقم ٢٠٤٣، آخر كتاب الحج.

وما ربما يقال من أنّ سفرهم إلى المدينة لأجل قصد عبادة أُخرى وهو الصلاة في المسجد، باطل جداً، فانّ المنازعة فيما يقصده الناس مكابرة في أمر البديهة، فمن عرف الناس، عرف انّهم يقصدون بسفرهم الزيارة من حين يعرجون إلى طريق المدينة، ولا يخطر غير الزيارة من القربات إلاّ ببال قليل منهم، ولهذا قل القاصدون إلى البيت المقدس مع تيسر إتيانه، وإن كان في الصلاة فيه من الفضل ما قد عرف، فالمقصود الأعظم في المدينة، الزيارة كما أنّ المقصود الأعظم في مكة، الحج أو العمرة وهو المقصود، وصاحب هذا السؤال إن شكّ في نفسه فليسأل كلّ من توجه إلى المدينة ما قصد بذلك؟[1]

الرابع: انّه إذا كانت الزيارة قربة وأمراً مستحباً على الوجه العام أو الخاص، فالسفر وسيلة القربة، والوسائل معتبرة بالمقاصد فيجوز قطعاً.

الخامس: ما نقله المؤرّخون عن بعض الصحابة والتابعين في هذا المجال.

١. قال ابن عساكر: إنّ بلالاً رأى في منامه النبي ﷺ وهو يقول له: ما هذه الجفوة يا بلال، أما آن لك أن تزورني يا بلال؟ فانتبه حزيناً، وجلاً خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبي ﷺ، فجعل

١. شفاء السقام في زيارة خير الأنام لتقي الدين السبكي: ٨٥ـ ٨٦، ط بولاق مصر، وانظر الطبعة الرابعة: ٢١١ ـ ٢١٢ بتلخيص.

يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه، وأقبل الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ فجعل يضمّهما ويقبلهما فقالا له يا بلال: نشتهي نسمع أذانك الذي كنت تؤذن بـه لرسول الله ﷺ في السحر ففعل، فعـلا سطح المسجد، فوقـف موقفه الذي كـان يقف فيه، فلمّا أن قـال: «الله اكبر ـ الله اكبر» ارتجَّت المدينـة، فلما أن قال: «أشهـد أن لا إله إلاّ الله» ازدادت رجَّتهـا، فلما أن قال: «أشهد أنّ محمّداً رسول الله» خرجت العواتق من خدورهن فقالوا : أبعـث رسول الله ﷺ؟ ! فما رُئي يوم أكثـر باكيـاً ولا باكيـة بعد رسول الله من ذلك اليوم .[1]

٢. انّ عمر بن عبد العزيز كان يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ليقرئ النبي السلام ثمّ يرجع.[2]

قال السبكي: فسفر بلال في زمن صدر الصحابة، ورسول عمر بن عبد العزيز في زمن صـدر التابعين من الشام إلى المدينة، لم يكن إلاّ للزيارة والسلام على النبي ولم يكن الباعث على السفر غير ذلك لا من أمر الدنيا ولا من أمر الدين، لا من قصد المسجد ولا من غيره.[3]

٣. إنّ عمـر لما صالـح أهـل بيت المقـدس وقـدم عليه كعـب الأحبار وأسلم وفرح عمر بإسلامه، قال عمر له: هل لك أن تسير معي

---

١. تاريخ ابن عساكر:٧/ ١٣٧ في ترجمة إبراهيم بن محمد، برقم ٤٩٣.

٢. شفـاء السقـام، ص ١٤٢. أخـرجـه البيهقـي في شعـب الإيمان كما نقلـه في الصارم المنكي:٢٤٦، لاحظ تعليقة شفاء السقام.

٣. شفاء السقام:١٤٣، ط الرابعة.

إلى المدينة وتزور قبر النبي وتتمتع بزيارتـه؟ فقال لعمر: أنا أفعل ذلك، ولما قدم عمر المدينة أوّل ما بدأ با لمسجد سلم علىٰ رسول الله.[١]

٤. ذكـر ابن عسـاكر في تـاريخه، وابن الجوزي في «مثير الغـرام الساكن»، بأسانيدهم إلى محمـد بن حرب الهلالي قال: دخلت المدينة، فأتيت قبر النبي ﷺ وزرته وسلمـت بحذائه، فجاءه أعرابي فـزاره، ثمّ قال: يـا خير الرسل انّ الله أنـزل عليك كتابـاً صادقاً، قـال فيه: ﴿**وَلَو أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُـوا أَنْفُسَهُمْ جـاءُوكَ فَاستَغْفِرُوا اللهَ وَاستَغْفَـرَ لَهُمُ الـرَّسُولُ لَوَجَدُوا الله تَوّاباً رَحيماً**﴾ .[٢]

وإنّي جئتك مستغفراً ربّك ذنوبي، مستشفعاً بك إلى الله ثمّ بكىٰ وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت بـالقاع أعظمه   فطاب من طيبهـن القاع والاكم

نفسي الفـداء لقبر أنـت سـاكنـه   فيـه العفاف وفيـه الجود والكـرم

وقد ذيله أبو الطيب أحمد بن عبد العزيز بأبيات وقال:

وفيه شمس التقى والديـن قد غربت

من بعد مـا أشرقت من نورهـا الظلم

حاشـا لوجهـك أن يبلىٰ وقد هـديت

في الشرق والغرب من أنـواره الأُمم[٣]

---

١. فتوح الشام: ١/ ١٤٨، باب فتح القدس.   ٢. النساء: ٦٤.

٣. شفاء السقام: ١٥١ـ ١٥٢.

سؤال و اجابة

وثمة سؤال وهو انّه إذا كان شدّ الرحال إلىٰ زيارة القبور وبالأخص زيارة قبر النبي ﷺ جائزاً، فما معنى هذا الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، وهو لا تشدّ الرحال إلاّ إلىٰ ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصىٰ؟

والجواب **أوّلاً**: انّ هذا الحديث وإن أخرجه مسلم، لكنّه معارض بفعل النبي ﷺ حيث إنّه كان يشد الرحال إلى مساجد غير هذه الثلاثة.

فقدأخرج الشيخان في صحيحهما انّ النبي ﷺ كان يأتي مسجد قبا راكباً وماشياً فيصلي فيه.[1]

فكيف يجتمع هذا الحديث مع حديث النهي الذي لسانه آب عن التخصيص، وهذا يدل على أنّ الحديث الأوّل إمّا غير صحيح وعلى فرض صحته نقل محرّفاً.

والدليل على التحريف انّه نقل بوجه آخر أيضاً، وهو إنّما يسافر إلىٰ ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء.

وأيضاً بصورة ثالثة تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد.[2]

---

١. صحيح مسلم:٤/ ١٢٧، صحيح البخاري:٢/ ١٧٦.

٢. أورد مسلم هذه الأحاديث في صحيحه:٤:١٢٦، باب لا تشدّ الرحال من كتاب الحج وكذلك النسائي في سننه المطبوع مع شرح السيوطي:٢/ ٣٧ـ٣٨، وقد ذكر السبكي صوراً أُخرى للحديث هي أضعف دلالة على مقصود المستدل لاحظ شفاء السقام:٩٨.

فعلى هاتين الصورتين ليس هناك نهي عن شدّ الرحال إلىٰ غير الثلاثة خصوصاً الصورة الثالثة، وأقصى ما فيها الدعوة إلى السفر إلىٰ هذه الثلاثة.

وثانياً: نفترض انّ الصحيح هو الصورة الأُولى لكن المستثنى منه بقرينة المستثنىٰ محذوف وهو لفظ المسجد، فيكون معناه لا تشدّ الرحال إلىٰ مسجد من المساجد إلاّ إلىٰ هذه المساجد الثلاثة، فلو دلّ فإنّما يدل على النهي علىٰ شدّ الرحال إلى مسجد سوى المساجد الثلاثة، وأمّا السفر إلى الأماكن الأُخرى فالحديث ساكت عنه غير متعرض لشيء من أحكامه، فانّ النفي و الإثبات يتوجهان إلى السفر إلى المسجد لا إلى الأمكنة الأُخرى، كزيارة النبي ومشاهد الشهداء ومراقد الأولياء.

وثالثاً: انّ الحديث لا يدل ـ حتى ـ علىٰ حرمة السفر إلى مسجد غير هذه الثلاثة، وإنّما هو إرشاد إلى عدم الجدوى في السفر إلىٰ غيرها، وذلك كما قاله الإمام الغزالي: لأنّ سائر المساجد متماثلة في الفضيلة بعد هذه المساجد فلا وجه لشدّ الرحال إلىٰ غيرها وإنّما يشد الرحال إذا كان هناك تفاوت في الفضيلة.[1]

وأمّا شدّ الرحال إلى زيارة أئمّة أهل البيت عليهم السلام أو الشهداء فيعلم ذلك ممّا قد أوردناه من الأحاديث، فإذا خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة لزيارة قبور الشهداء فأئمّة أهل البيت أئمّة الشهداء تجوز

---

١. احياء علوم الدين للإمام الغزالي: ٢/ ٢٤٧.

زيارتهم بطريق أولى، انّ الإمام أمير المؤمنين من أفضل الشهداء، والحسين بن علي أبو الشهداء .فسلام الله عليهم يوم ولدوا ويوم استشهدوا ويوم يبعثون أحياء.

وعلى كلّ حال فشدّ الرحال، مسألة فقهية لا صلة لها با لمسائل العقائدية ولا بالشرك ولكلّ مجتهد دليله.

٣

البناء على القبور

المراد من القبور في العنـوان هو قبور الأنبياء والشهـداء والأئمّة الأولياء الذين لهم مكانة عالية في قلوب المؤمنين، فهل هو أمر جائز أو لا؟

وهـذه المسـألـة كـالمسـألتين السـابقتين لا تمت إلى العقيـدة الإسلاميـة بصلة حتىٰ تكون مـلاكاً للتـوحيد والشرك، وإنّما هـي من المسائل الفقهيـة التي يدور أمرهـا بين الإباحة والكراهـة والاستحباب وغيرها.

ولا يصـحّ لمسلـم واع أن يتخـذ تلـك المسـألـة ذريعـة للشرك والتكفير، فكـم من مسـائل فقهية اختلفـت فيها كلمـة الفقهاء، ومـن حسن الحظ لم يختلـف في هذه المسألـة فقهاء الائمة الأربعـة ولا فقهاء المذهب الإمامي ودليلهم على جـواز البناء علىٰ قبور تلك الشخصيات عبارة عن سيرة المسلمين منذ رحيل النبي ﷺ إلىٰ يومنا هذا.

أ. وارىٰ المسلمون جسد النبي ﷺ في بيته المسقف وحرصوا على بذل المزيـد من العنايـة بحجرته الشريفة بشتـى الأساليب، وقـد جاء

ذكرها في الكتب التي ألفت في تاريخ المدينة لا سيما كتاب وفاء الوفاء للعلاّمة السمهوديّ.[١]

وشيّد البناء الموجود عام ١٢٧٠هـ وهو بحمد الله قائم لم يمسه السوء، وسوف يبقى بفضل الله تبارك وتعالى محفوظاً مصوناً عن الاندثار، فلو كان البناء على القبور أمراً حراماً لدفنه المسلمون في مكان واسع لا سقف فيه.

ب. انّ البناء على القبور كانت سيرة سائدة بين المسلمين من عصر الصحابة إلىٰ يومنا هذا، وهذه هي كتب الرَحَلات تذكر لنا وصف القبور الموجودة في المدينة التي كانت عليها قباب وعلى قبورهم صخرة فيها اسماؤهم ونحن نذكر من ذلك نزراً يسيراً:

١ . يقول المسعودي(المتوفّى٤٤٥هـ) حول المشاهد والقباب في البقيع: وعلىٰ قبورهم في هذا الموضع من البقيع، رخامة مكتوب عليها بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله مبيد الأُمم ومحيي الرمم وهذا قبر فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، و محمد بن علي، و جعفر بن محمد.[٢]

٢ .وذكر السبط ابن الجوزي(المتوفّى عام ٦٥٤هـ) في تذكرة

---

١ . وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى:٢/ ٤٥٨، الفصل التاسع.

٢ . مروج الذهب ومعادن الجوهر:٢/ ٢٨٨.

الخواص ص ٣١١ نظير ذلك.

٣. كما وصف محمد بن أبي بكر التلمساني المدينة الطيبة وبقيع الغرقد في القرن الرابع بقوله: وقبر الحسن بن علي عن يمينك إذا خرجت من الدرب ترتفع إليه قليلاً عليه مكتوب هذا قبر الحسن بن علي دفن إلى جنب أُمّه فاطمة عليها السلام.[١]

٤. يقول الحافظ محمد بن محمود بن النجار (المتوفّىٰ عام ٦٤٣هـ)في «اخبار مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم»: في قبة كبيرة عالية قديمة البناء في أوّل البقيع، وعليها بابان يفتح أحدهما في كلّ يوم للزيارة «رضي الله عنهم».[٢]

٥. ويقول ابن جبير الرحالة الطائر الصيت(المتوفّى عام ٦١٤هـ) في رحلته في وصف بقيع الغرقد: يقع في مقابل قبر مالك قبر، السلالة الطاهرة إبراهيم بن النبي عليها قبة بيضاء، وعلى اليمين منها تربة ابن عمر ابن الخطاب، وبازائه قبر عقيل بن أبي طالب (رض) وعبد الله بن جعفر الطيار (رض)، وبازائهم روضة فيها أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبها روضة صغيرة فيها ثلاثة من أولاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و روضة العباس بن عبدالمطلب والحسن بن علي (رض) وهي قبة مرتفعة في الهواء علىٰ مقربة من باب البقيع المذكور، وعن يمين الخارج منه، ورأس

---

١. مجلة العرب، رقم ٥ـ٦، المؤرخة ١٣٩٣هـ.

٢. اخبار مدينة الرسول اهتم بنشره صالح محمد جمال بمكة المكرمة عام ١٣٦٦.

الحسن إلى رجلي العباس وقبراهما مرتفعان عن الأرض متسعان مغشيان بـألواح ملصقـة، أبدع الصـاق، مرصّعـة بصفائح الصفـر، ومكوكبـة بمسامير على أبدع صفـة، وأجمل منظر، وعلىٰ هذا الشكل قبر إبـراهيم بن النبـي ﷺ،ويلي هـذه القبة العبـاسيـة بيت ينسـب لفـاطمة بنـت الرسول ﷺ ويعرف ببيـت الحزن... وفي آخر البقيـع قبر عثمان الشهيد المظلوم ذي النورين وعليه قبـة صغيرة مختصرة، وعلى مقربة منه مشهد فاطمة ابنة أسد أُمّ عليّ رضي الله عنها وعن بنيها.[١]

٦. وروى البـلاذري انّـه لما مـاتت زينـب بنـت جحـش سنـة عشرين صلّىٰ عليها عمر، وكان دفنهـا في يوم صائف، ضرب عمر علىٰ قبرها فسطاطا.[٢]

ولم يكـن الهدف من ضربـه ذلـك الفسطـاط تسهيل الأمـر لمن يتعاطىٰ دفنها، بـل لأجل تسهيله لأهلها حتى يتفيؤا بظلـه، ويقرأوا ما يتيسر من القرآن والدعاء.

٧. يقول السمهودي(المتوفّى ٩١١هـ) في وصف بقيع الغرقد: قد ابتنىٰ عليها مشـاهـد، منها المشهـد المنسوب لعقيـل بـن أبي طالـب وأُمّهات المؤمنين،تحوي العباس والحسن بـن علي ...وعليهم قبة شامخة في الهواء، قال ابـن النجار: ...وهي كبيرة عاليـة، قديمة البنـاء، وعليها

١. رحله ابن جبير، طبع بيروت، دار صادر، وقد زار ابن جبير المدينة المنورة عام ٥٧٨هـ.
٢. انساب الأشراف: ١/ ٤٣٦.

بابان، يفتح أحدهما في كلّ يوم. وقال المطري: بناها الخليفة الناصر أحمد بن المستضيء... وقبر العباس وقبر الحسن مرتفعان من الأرض متسعان مغشيان بألواح ملصقة أبدع الصاق، مصحفة بصفائح الصفر، مكوكبة بمسامير علىٰ أبدع صفة وأجمل منظر.(١)

إلى غير ذلك من الرحالة الذين زاروا المدينة المنورة ووصفوا تلكم المزارات و المشاهد و القباب المرتفعة ونظر الكل إليها بعين الرضا والمحبة لا بعين السخط والغضب.

وهذا النوع من الاتفاق والإجماع من قبل علماء الإسلام طيلة قرون أقوىٰ شاهد على جواز البناء علىٰ قبور الشخصيات الإسلامية الذين لهم منزلة ومكانة في القلوب.

ولنعم ما يقول العلاّمة العاملي:

مضت القرون وذي القباب مشيدة
والناس بين مؤسس ومجدد
في كلّ عصر فيه أهل الحل والـ
ـعقد الذين بغيرهم لم يعقد
لم ينكروا أبداً على من شادها
شيدت ولا من منكر ومفند
فسيرة للمسلمين تتابعت
في كلّ عصر نستدل ونقتدي(٢)

---

١. وفاء الوفاء: ٣ / ٩١٦ـ ٩٢٩.

٢. كشف الارتياب: ٣٩٥.

البناء على القبور من منظار آخر

إنّ صيانة القبور والآثار الباقية من بيت الوحي والعصمة عليهم السلام من مظاهر حب النبي صلى الله عليه وآله وتكريمه، وقد أُمر المسلمون في الكتاب والسنّة بحبه وتكريمه و تبجيله، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَونَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ في سَبيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدي الْقَومَ الْفاسِقينَ﴾.[1]

وقال سبحانه في وصف المؤمنين: ﴿فَالَّذينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[2]

فالآية الكريمة تأمر بأُمور أربعة:

١. الإيمان به.

٢. تعزيره.

٣. نصرته.

٤. اتباع كتابه وهو النور الذي أُنزل معه.

---

١. التوبة:٢٤.

٢. الأعراف:١٥٧.

وليس المراد من تعزيره هو نصرته، لأنّه قد ذكره بقوله: «نصروه» وإنّما المراد توقيره، وتكريمه وتعظيمه بما انّه نبيُّ الرحمة والعظمة ، ولا يختص تعزيره وتوقيره بحال حياته بل يعمها، كما انّ الإيمان به والتبعية لكتابه لا يختصان بحال حياته الشريفة.

وعلى هذا فحب النبي ﷺ ومن يمت إليه بصلة أصل إسلامي يجب أن يهتم به المسلمون ويطبقونه في حياتهم.

ولأجل كرامة رسول الله ﷺ ومنزلته يدعو الذكر الحكيم إلىٰ تعظيمه في المجالس وحفظ كرامته ويقول:

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لاٰ تَرْفَعُوا أَصواتكُمْ فَوْقَ صَوتِ النَّبيّ وَلاٰ تَجْهَرُوا لَهُ بِالقَولِ كَجَهْرِ بَعْضكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاٰ تَشْعُرُون﴾.(١)

وقال أيضاً: **﴿إِنَّ الَّذينَ يَغُضُّونَ أَصواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولئِكَ الَّذينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقوىٰ﴾** .(٢)

وقال: **﴿لاٰ تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعضاً﴾** .(٣)

فأي إجلال أبلغ من هذا، وأي تقدير أروع من هذا التقدير.

---

١. الحجرات:٢.

٢. الحجرات:٣.

٣. النور:٦٣.

وليس الذكر الحكيم وحده هو الداعي والآمر بحب الرسول ﷺ، بل السنّة النبوية تضافرت علىٰ لزوم حبه.

قال رسول الله: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين». (١)

وقد تواتر مضمون هذه الرواية عن النبي ﷺ، فمن أراد فليرجع إلى الكتب المعدة لهذا الغرض. (٢)

مظاهر الحب

إنّ لهذا الحب مظاهر ومجالي، إذ ليس الحب شيئاً يستقر في صقع النفس من دون أن يكون له انعكاس خارجي على أعمال الإنسان وتصرفاته، بل من خصائصه أن يظهر أثره على سلوك الإنسان وملامحه.

١ . حب الله ورسوله لا ينفك عن اتّباع دينه والاستنان بسنّته والانتهاء عن نواهيه، ولا يعقل أبداً أن يكون المرء محباً لرسول الله ﷺ، ومع ذلك يخالفه فيما يبغضه ولا يرضيه . و الإتّباع أحد مظاهر الحبّ قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(٣). فمن ادّعى الحب في النفس وخالف في العمل، فقد جمع بين شيئين متخالفين متضادين.

---

١ . صحيح البخاري: ١ / ٨، باب حب الرسول من الإيمان من كتاب الإيمان.

٢ . كنز العمال: ٢ / ١٢٦.

٣ . آل عمران: ٣١.

وقد نسب إلى الإمام الصادق عليه السلام البيتان التاليتان:

تعصي الإله وأنت تظهر حبّه هذا لعمري في الفعال بديع
لوكان حبك صادقاً لأطعته انّ المحب لمن يحب مطيع[١]

٢. ومن مظاهر هذا الحب، صيانة آثارهم وحفظ معالمهم والعناية بكلّ ما يتصل بهم حتى الاحتفاظ بما صلوا فيه من ألبسة أوشربوا منه الماء من أوان أو استخدموه من أشياء، وتشييد مراقدهم، وتعمير قبورهم ... كلّ ذلك انعكاس طبيعي لهذا الحب الكامن في النفوس والود المتمكن في القلوب.

وليس هذا أمراً مختصاً بالمسلمين، بل الأُمم المتحّضرة المعتزة بماضيها وتاريخها، تسعىٰ إلى صيانة كلّ أثر تاريخي باق من الماضي وصيانة مراقد شخصياتهم العلمية .

وأخيراً نقول: لا شكّ انّ لهدم الآثار والمعالم التاريخية الإسلامية لا سيما في مهد الإسلام مكة ومهجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة المنوّرة، نتائج ومضاعفات خطيرة على الأجيال اللاحقة التي سوف لا تجد أثراً لوقائع التاريخ الإسلامي، وربما تؤول إلى الاعتقاد بأنّ الإسلام قضية مفتعلة وفكرة مبتدعة ليس لها جذور تاريخية، تماماً كما أصبحت قضية السيد المسيح عليه السلام في نظر الغرب قضية اسطورية حاكتها أيدي البابوات

١. سفينة البحار، مادة حب.

والقساوسـة، لعدم وجود آثـار ملموسة تـدل علىٰ أصالة هـذه القضية ووجودها التاريخي.

إيضاح حديث أبي هياج

بقي هنـا سؤال وهو انّ مقتضى هـذه الأدلة وإن كان هـو جواز البناء على القبـور لكن الحديـث العلويّ يمنعنـا عنه وهـو ما أخـرجه مسلم في صحيحـه عن أبي هيـاج الأسدي، قـال: قال لي علي بـن أبي طالب: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلاّ طمسته ولا قبراً مشرفاً إلاّ سويته.(١)

والجواب: انّ الحديـث يـدل على لـزوم تسطيح القبـور مقـابـل تسنيمهـا ولا صلـة لـه ببنـاء القبـور أو البنـاء عليـه وذلـك انّ لفظـة «التسوية» تستعمل في معنيين:

١. تطلـق ويـراد منهـا مسـاواة شيء بشيء فعنـدئذٍ تتعـدىٰ إلى المفعـول الثاني بحـرف التعديـة كـالباء قـال سبحانـه: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِين﴾ .(٢)

وقال سبحانـه حاكياً عن حـال الكافرين يـوم القيامة: ﴿يَومَئِذٍ

---

١. صحيح مسلم:٣/ ٦٠،باب الأمر بتسوية القبر؛ و السنن للترمذي:٢/ ٢٥٦، باب ما جاء في تسوية القبور.

٢. الشعراء:٩٨.

يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً﴾ [١] أي يودّون أن يكونوا تراباً أو أمواتاً تحت الأرض.

٢. تطلق ويراد منها ما هو وصف لنفس الشيء لا بمقايسته إلىٰ شيء آخر، فعندئذٍ تكتفي بمفعول واحد.

قال سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ .[٢]

وقال سبحانه: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ .[٣]

ففي هذين الموردين تقع التسوية وصفاً للشيء لا باضافته إلىٰ غيره.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى تفسير الحديث فنقول:

لو أراد من قوله: سويته هو مساواة القبر بالأرض ـ كمساواة شيء بشيء ـ يلزم أن يتّخذ مفعولاً ثانياً بحرف الجر كأن يقول سويته بالأرض أي جعلتهما متساويين والمفروض انّه اقتصر بمفعول واحد دون الثاني.

فتعين انّ المراد هو الثاني أي كون المساواة وصفاً لنفس الشيء وهو القبر ومعناه عندئذٍ تسطيح القبر في مقابل تسنيمه، وبسطه في

١. النساء:٤٢.
٢. الأعلى:٢.
٣. القيامة:٤.

مقابل اعـوجاجه، وهذا هو الذي فهمـه شراح الحديث، وبما انّ السنّة هـي التسطيح، والتسنيـم طرأ بعـد ذلك، أمـر عليّ عليه السلام بأن يكـافح البدعة ويسطح كلّ قبر مسنم.

وممّا يؤيد انّ المراد هو تسطيح القبر انّ مسلم في صحيحه عنون الباب هكذا «باب الأمر بتسوية القبر» ثمّ نقل رواية عن ثمامة انّه قال: كنّا مع فضالة بن عبيد في أرض الروم، فتـوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوّي. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر بتسويته ثمّ أورد بعده حديث أبي الهياج المتقدم.[١]

وقد فسره أيضاً بما ذكرنا الفقيه القـرطبي حيث قال: قال علماؤنا ظاهر حديث أبي الهياج منع تسنيم القبور ورفعها.[٢]

١. صحيح مسلم: ٣/ ٦١، باب الأمر بتسوية القبر.
٢. تفسير القرطبي: ١٠/ ٣٨٠.

٤

بناء المساجد على القبور والصلاة فيها

إنّ بناء المساجد على القبور أو عندها والصلاة فيها مسألة فقهية فرعية لا تمتُّ إلى العقائد بصلة.

فالمرجع في هذه المسائل هم أئمّة المذاهب وفقهاء الدين يستنبطون حكمها من الكتاب والسنّة، وليس لنا تكفير أو تفسيق واحد من الطرفين إذا قال بالجواز أو بعدمه، وكم من مسألة فقهية اختلفت فيها آراء الفقهاء والمجتهدين، ونحن بدورنا نعرض المسألة على الكتاب والسنّة لنستنبط حكمها من أوثق المصادر الفقهية.

الذكر الحكيم يشرح لنا كيفية عثور الناس علىٰ قبور أصحاب الكهف وانّهم ـ بعد العثور ـ اختلفوا في كيفية تكريمهم وإحياء ذكراهم والتبرّك بهم على قولين: فمن قائل: يُبنىٰ على قبورهم بنيان ليُخلَد ذكراهم بين الناس.

إلى قائل آخر: يبنىٰ علىٰ قبورهم مسجداً يصلّىٰ فيه.

وقد حكىٰ سبحانه كلا الاقتراحين من دون تنديد بواحد منهما،

قال سبحانه: ﴿وَكَذٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا انَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَانَّ السّاعَةَ لاٰ رَيْبَ فيها إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً ربُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾.[1]

قال المفسرون: إنّ الاقتراح الأوّل كان لغير المسلمين ويؤيده قولهم في حقّ أصحاب الكهف:﴿رَبّهم أَعْلَمُ بِهِم﴾ وهو ينمّ عن اهتمام بالغ بحالهم ومكانتهم فحوّلوا أمرهم إلى ربّهم.

وأمّا الاقتراح الثاني فنفس المضمون (اتّخاذ قبورهم مسجداً) شاهد على أنّ المقترحين كانوا هم المؤمنين، وما اقترحوا ذلك إلاّ للتبرّك بالمكان الذي دفنت فيه أجساد هؤلاء الموحدين.

والقرآن يذكر ذلك الاقتراح من دون أن يعقب عليه بنقد أورد وهو يدل على كونه مقبولاً عند مُنزل الوحي.

قال الطبري في تفسير الآية: إنّ المبعوث دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهري سوقها فيسمع أُناساً كثيرين يحلفون باسم عيسى بن مريم، فزاده فرقاً ورأى أنّه حيران، فقام مُسْنِداً ظهره إلى جدار من جُدُر المدينة، ويقول في نفسه: والله ما أدري ما هذا أمّا عشية أمس فليس على الأرض إنسان يذكر عيسى بن مريم إلاّ قتل، وأمّا الغداة فأسمعهم وكلّ إنسان يذكر أمر عيسى لا يخاف، ثمّ قال في نفسه:

---

١ .الكهف:٢١.

لعلّ هذه ليست بالمدينة التي أعرف.[١]

سيرة المسلمين في البناء علىٰ قبور الصالحين

إنّ سيرة المسلمين تكشف عن جواز بناء المساجد علىٰ قبور الصالحين الذين يُتبرّك بهم ولهم مكانة عالية في قلوبهم، ويدل على ذلك الأُمور التالية:

أ. دفن النبي ﷺ في بيته الذي فيه وكان في جوار المسجد النبوي ولما كثر المسلمون وازداد عددهم وضاق المسجد بهم أدخلوا الجانب الشرقي ـ الذي كان فيه بيوت أزواج النبي ﷺ والبيت الذي دفن فيه ـ في المسجد النبوي علىٰ نحو يقف المصلون أطراف القبر من الجوانب الأربعة ويحيطون به.

يقول الطبري في حوادث سنة ٨٨: إنّه في شهر ربيع الأوّل من هذه السنة قدم كتاب الوليد علىٰ عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم المسجد النبوي و إضافة حجر رسول الله ﷺ وأن يوسعه من قبلته وسائر نواحيه، باشتراء الأملاك المحيطة به، فأخبر عمر الفقهاء العشرة وأهل المدينة بذلك، فحبذوا بقاء تلك الحُجُر على حالها ليعتبر بها المسلمون، ويكون أدعىٰ لهم إلى الزهد اقتداءً بنبيهم، فكاتب ابن عبد العزيز الوليد في ذلك، فأرسل إليه يأمره بالخراب، وتنفيذ ما ذكره في كتابه

١. تفسير الطبري:١٥/ ١٤٥.

الأوّل، فضجَّ بنو هاشم وتباكوا، ولكن عمر نفّذ ما أمره به الوليد، فأدخل الحجرة النبوية (حجرة عائشة) في المسجد، فدخل القبر في المسجد وسائر حجرات أُمّهات المؤمنين وقد بني عليه سقف مرتفع كما أمر الوليد.[١]

فإذا كان هذا العمل بمرأى ومسمع من فقهاء المدينة العشرة والمسلمين عامة، وفي مقدم التابعين منهم علي بن الحسين زين العابدين وابنه محمد بن علي الباقر عليهما السلام اللّذين لم يشك أحد في زهدهما وعلمهما وعرفانهما. فهو أوضح دليل على جواز إقامة المسجد عند قبور الأنبياء والصالحين والصلاة فيه.

وقد أقر هذا العمل كلّ التابعين وجاء بعدهم إمام دار الهجرة مالك أحد أئمّة المذاهب الأربعة فلم يعترضوا عليه بشيء.

ب . يقول السمهودي في حقّ السيدة فاطمة بنت أسد أُمّ الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: فلمّا توفيت خرج رسول الله فأمر بقبرها فحفر في موضع المسجد الذي يقال له اليوم قبر فاطمة.[٢]

والعبارة تدل على أنّهم بنوا المسجد بعد تدفينها.

وقال في موضع آخر: إنّ مصعب بن عمير وعبد الله بن جحش دفنا تحت المسجد الذّي بني علىٰ قبر حمزة.[٣]

١. راجع تاريخ الطبري:٥/ ٢٢٢؛ البداية والنهاية:٨/ ٦٥.
٢. وفاء الوفاء:٣/ ٨٩٧.
٣. المصدر السابق:٣/ ٩٢٢.

ج. انّ السيدة عائشة قضت حياتها في بيتها وصلّت فيه تمام عمرها، ولم يكن بينها وبين القبر أيّ جدار إلى أن دفن عمر فبني جدار حال بينها وبين القبور الثلاثة.(١)

د. روى البيهقي انّ فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تذهب إلىٰ زيارة قبر عمها حمزة فتبكي وتصلي عنده.(٢)

أخرج الحاكم، عن سليمان بن داود، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين عليه السلام ، عن أبيه، انّ فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تزور قبر عمها حمزة كلّ جمعة فتصلي وتبكي عنده.

قال الحاكم: وهذا الحديث رواته عن آخرهم ثقات. وأقرّه الذهبي عليه ونقله البيهقي في سننه.(٣)

وهذا يدل علىٰ بناء المسجد علىٰ قبر حمزة في حياة النبي ﷺ والصلاة فيه.

هـ. انّ النبي ﷺ ـ في معراجه الذي بدأ به من المسجد الأقصى ـ نزل في المدينة، وطور سينا وبيت لحم، وصلّى فيها، فقال جبرئيل: صليت في «طيبة» وإليها مهاجرتك، وصليت في طور سينا حيث كلم الله موسى، وصليت في بيت لحم حيث ولد المسيح.(٤)

---

١. وفاء الوفاء: ٢/ ٥٤١.

٢. السنن الكبرىٰ: ٤/ ٧٨.

٣. مستدرك الحاكم: ١/ ٣٧٧.

٤. الخصائص الكبرىٰ: ١/ ١٥٤.

هل هناك فرق بين المدفن والمولد، مع انّ الصلاة في كلٍ، لغاية واحدة وهي التبرّك بالإنسان المثالي الذي مسّ جسده الطاهر، ذلك التراب بداية عمره أو نهايته؟!

وبما انّ الكتاب ـ مضافاً إلى السيرة المستمرة بعد رحيل رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا ـ دليل قطعي، يكون محكماً يؤخذ به، وما دلّ على خلافه، يكون متشابهاً، فيرد إلى المحكم ويفسره بفضله.

ربما يتراءىٰ من بعض الروايات عدم جواز اتّخاذ قبور الأنبياء مساجد.

فروي عن رسول الله ﷺ انّه قال: قاتل الله اليهود اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

وفي رواية أُخرى: لعن الله اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

وفي رواية ثالثة: ألا وإنّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد.[1]

ولنا مع هذه الأحاديث وقفة قصيرة، وذلك لأنّ تاريخ اليهود لا يتفق مع مضامين تلك الروايات، لأنّ سيرتهم قد قامت علىٰ قتل

---

١. للوقوف على مصادر هذه الأحاديث راجع صحيح البخاري: ٢/ ١١١ كتاب الجنائز؛ سنن النسائي: ٢/ ٨٧١، كتاب الجنائز؛ صحيح مسلم: ٢/ ٦٨، باب النهي عن بناء المساجد على القبور من كتاب المساجد.

الأنبياء وتشريدهم وإيذائهم إلى غير ذلك من أنواع البلايا التي كانوا يصبّونها علىٰ أنبيائهم.

ويكفي في ذلك قوله سبحانه: **﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذينَ قالُوا إِنَّ اللهَ فَقيرٌ وَنَحْنُ أَغْنياءُ سَنَكْتُبُ ما قالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الْحَريق﴾**.[1]

وقوله سبحانه: **﴿قُلْ قَدْجاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلي بِالْبَيِّناتِ وَبِالّذي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ﴾**.[2]

وقال سبحانه: **﴿فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ وكُفْرِهِمْ بِآياتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ... ﴾**.[3]

أفتزعم انّ أُمّة قتلت أنبياءها في مواطن مختلفة تتحول إلى أُمّة تشيد المساجد علىٰ قبور أنبيائها تكريماً وتبجيلاً لهم.

وعلى فرض صدور هذا العمل عن بعضهم، فللحديث محتملات أُخرى غير الصلاة فيها والتبرّك بصاحب القبر وهي:

أ. اتخاذ القبور قبلة.

ب. السجود على القبور تعظيماً لها بحيث يكون القبر مسجوداً عليه.

---

١. آل عمران:١٨١.

٢. آل عمران:١٨٣.

٣. النساء:١٥٥.

ج. السجود لصاحب القبر بحيث يكون هو المسجود له، فالقدر المتيقن هو هذه الصور الثلاث لا بناء المسجد على القبور تبرّكاً بها.

والشاهد على ذلك انّ الرسول ﷺ حسب بعض الروايات يصف هؤلاء بكونهم شرار الناس.

أخرج مسلم في كتاب المساجد: انّ أُمّ حبيبة وأُمّ سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: إنّ أُولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بني على قبره مسجداً، وصوّروا فية تلك الصور، أُولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة.[١]

إنّ وصفهم بشرار الخلق يميط اللثام عن حقيقة عملهم إذ لا يوصف الإنسان بالشر المطلق إلاّ إذا كان مشركاً ـ و إن كان في الظاهر من أهل الكتاب ـ قال سبحانه: **﴿إِنَّ شَرَّ الدّوابّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ البُكْمُ الّذينَ لا يَعْقِلُون﴾**.[٢]

وقال: **﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوابّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾**.[٣]

وهذا يعرب عن انّ عملهم لم يكن صرفَ بناء المسجد على القبر والصلاة فيه، أو مجرد إقامة الصلاة عند القبور، بل كان عملاً مقروناً بالشرك بألوانه وهذا كما في اتخاذ القبر مسجوداً له أو مسجوداً عليه أو

١. صحيح مسلم:٢/ ٦٦، باب النهي عن بناء المساجد على القبور من كتاب المساجد.
٢. الأنفال:٢٢.
٣. الأنفال:٥٥.

قبلة يصلىٰ إليه.

قال القرطبي: وروى الأئمّة عن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: لا تصلّوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها «لفظ مسلم» أي لا تتخذوها قبلة فتصلّوا عليها أو إليها كما فعل اليهود و النصارىٰ فيؤدي إلى عبادة من فيها.[1]

إنّ الصلاة عند قبر الرسولﷺ إنّما هي لأجل التبرّك بمن دفن، ولا غروَ فيه وقد أمر سبحانه الحجيج باتخاذ مقام إبراهيم مصلى قال سبحانه: ﴿وَاتَّخِذوا مِنْ مَقامِ إِبْراهيمَ مُصلّىٰ﴾ .[2]

إنّ الصلاة عند قبور الأنبياء كالصلاة عند مقام إبراهيم غير انّ جسد النبي إبراهيم عليه السلام لامس هذا المكان مرّة أو مرات عديدة، ولكن مقابر الأنبياء احتضنت أجسادهم التي لا تبلى أبداً.

هذا وانّ علماء الإسلام فسروا الروايات الناهية بمثل ما قلناه.

قال البيضاوي: لما كانت اليهود والنصارىٰ يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها، واتخذوها أوثاناً، لعنهم ومنع المسلمين عن مثل ذلك. فأمّا من اتخذ مسجداً في جوار صالح وقصد التبرّك بالقرب منه لا للتعظيم ولا

---

١. تفسير القرطبي: ١٠/ ٣٨.

٢. البقرة: ١٢٥.

للتوجه ونحوه، فلا يدخل في الوعيد المذكور.[١]

وقال السندي شارح سنن النسائي: اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، أي قبلة للصلاة ويصلون إليها، أو بنوا مساجد يصلون فيها، ولعلّ وجه الكراهة أنّه قد يفضي إلىٰ عبادة نفس القبر.

إلى أن يقول: يحذر النبي ﷺ أُمّته أن يصنعوا بقبره ما صنع اليهود والنصارىٰ بقبور أنبيائهم من اتخاذ تلك القبور مساجد، إمّا بالسجود إليها تعظيماً لها أو بجعلها قبلة يتوجهون في الصلاة إليها.[٢]

١. فتح الباري في شرح صحيح البخاري:١/ ٥٢٥، طبعة دار المعرفة؛ وقريب منه ما في إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري:٢/ ٤٣٧، باب بناء المسجد على القبور.
٢. سنن النسائي:٢/ ٤١.

٥

التوسّل بالأنبياء و الصالحين

إنّ عالم الكون عالم فسيح لا يحيط الإنسـان بأسراره ودقائقه، وما اكتشفه الإنسان منها فإنّما هو ضئيل بالنسبة إلىٰ ما خفي عليه.

كيف وما أُوتي مـن العلم إلاّ قليلاً ، قال سبحـانه: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبّي وَما أُوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَليلاً﴾ .[1]

هذا هـو العالم الفيزيـائي الذائع الصيـت أنشتاين(المتـوفّى عام ١٩٥٥م) قال: إنّ نسبة مـا أعلم إلى ما لا أعلم كنسبـة هذا الدرج إلى مكتبتي.[2]

ولو أنصـف لكان عليـه أن يقول حتى أقـل من هـذه النسبة، وكان الأولى أن يقول نسبة هذا الدرج إلى أطباق السماء.

وعلى ضوء ذلـك فللّه سبحـانه في هـذا العالم أسبـاب و علل لم يصل إليها البشر مع ما بذل من الجهود.

---

١. الاسراء:٨٥.

٢. مجلة رسالة الإسلام السنة الرابعة، العدد الأوّل، مقال الكاتب المصري أحمد أمين.

ثمّ إنّ الأسباب تنقسم إلى طبيعية ومادية و إلىٰ غيبية و إلهية، أمّا الأوّل فالنظام الكائن مبني على العلل والأسباب الطبيعية وتأثير كلّ سبب طبيعي ومادي بإذن الله سبحانه، وليس للعلم دور سوى الكشف عن هذه الأسباب المادية.

غير انّ المادي ينظر إلى هذه الأسباب بنظرة استقلالية ولكن الإلهي ينظر إليها نظرة تبعية قائمة بالله سبحانه، مؤثرة بإذنه، وهذا هو ذو القرنين يتمسك بالأسباب الطبيعية في إيجاد السد أمام يأجوج ومأجوج ويستعين بالأسباب ولا يراها مخالفاً للتوحيد.

قال سبحانه حاكياً عنه: **﴿آتُوني زُبَرَ الْحَديد حَتّىٰ إِذا سَاوىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْن قالَ انْفُخُوا حَتّىٰ إِذا جَعَلَهُ ناراً قالَ آتُوني أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً* فَما اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً* قالَ هٰذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبّي جَعَلَهُ دَكّاءَ وَكانَ وَعْدُ رَبّي حَقّاً﴾**.(١)

إنّ الاستعانة بالأحياء والاستغاثة بهم أمر جرت عليه سيرة العقلاء، وهذا موسى الكليم استغاثه بعض شيعته فأجابه دون أن يخطر ببال أحد انّ الاستغاثة لا تجوز إلاّ بالله، قال سبحانه: **﴿وَدَخَلَ المَدينةَ عَلىٰ حينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها فَوَجَدَ فيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هٰذا مِنْ شيعَتِهِ وَهٰذا مِنْ عَدُوِّهِ فَاستَغاثَهُ الَّذي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسىٰ فَقضىٰ عَلَيْهِ﴾** .(٢)

---

١. الكهف:٩٦ـ ٩٧.
٢. القصص:١٥.

وما هذا إلاّ لأنّ موسى وشيعته تعتقد بأنّ المغيث إنّما يغيث بقوة وإذن منه سبحانه، فلا مانع من طلب النجدة والاستغاثة والاستعانة من الأحياء شريطة القيد المذكور، وقد أُشير إليه في قوله سبحانه: ﴿وَمَا النَّصْرُ إلاّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الحَكِيم﴾.[1]

***

كلّ ما ذكرنا كان يعود إلى التوسل بالأحياء والأسباب الطبيعية، وهذا ليس مورد بحث و نقاش.

إنّما الكلام في التوسل بالأنبياء والأولياء لا على الطريق المألوف وله أقسام:

أ. التوسل بدعاء النبي ﷺ أو الصالحين في حال حياتهم.

ب. التوسل بذات النبي ﷺ قدسيته وشخصيته.

ج. التوسل بحقّ النبي ﷺ والأنبياء والصالحين.

د. التوسل بدعاء النبي ﷺ والصالحين بعد رحيلهم.

هـ. طلب الشفاعة من النبي ﷺ والأولياء.

وإليك دراسة كلّ واحد منها:

أ. التوسل بدعاء النبي ﷺ أو الصالحين في حال حياتهم

اتّفق المسلمون على جواز التوسل بدعاء الرسول ﷺ في حال

---

١. آل عمران:١٢٦.

حياته، بل يستحب التوسل بدعـاء المؤمن كذلك، قال سبحانه: **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُـمْ فَاسْتَغْفَروا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُـولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوّاباً رَحيماً﴾** .(١)

تجد انّه سبحانه يدعو الظالمين إلىٰ المجيء إلى مجلس الرسول ﷺ كي يستغفر لهم النبيﷺ.

وفي آيـة أُخرى ينـدد بالمنـافقين بـأنّهم إذا دعوا إلى المجـيء إلىٰ مجلس الرسول ﷺ وطلب المغفـرة منه تنكـروا ذلك واعترضـوا عليه بليِّ الرأس، قال سبحانه: **﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِر لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾** .(٢)

وتاريخ الإسلام حافل بنماذج عديدة من هذا النوع من التوسل.

ب. التوسل بذات النبي ﷺ و قدسيته وشخصيته

وها هنا وثيقة تـاريخية ننقلها بنصها تعرب عن تـوسل الصحابة بدعـاء النبي ﷺ في حـال حياتـه أوّلاً، وبقـدسيتـه وشخصيته ثـانيـاً، والمقصود من نقلها هو الاستدلال على الأمر الثاني.

روى عثمان بن حنيف انّـه قال: إنّ رجلاً ضريراً أتـى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني؟

---

١. النساء:٦٤.

٢. المنافقون:٥.

فقال ﷺ: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت وهو خير؟

قال: فادعه ، فأمره ﷺ أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء : «اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمّد نبي الرحمة،يا محمد إنّي أتوجه بـك إلى ربّي في حاجتي لتقضى، اللّهمّ شفّعه فيّ».

قال ابن حنيـف: فوالله ما تفرقنـا وطال بنا الحديث حتّـى دخل علينا كأن لم يكن به ضرّ.

وهذه الـرواية من أصـح الروايات، قـال الترمذي: هذا حـديث حق، حسن صحيح.(١)

وقال ابن ماجة: هذا حديث صحيح.(٢)

ويستفاد من الحديث أمران:

الأوّل: أن يتوسل الإنسان بدعاء النبيﷺ ويدل على ذلك قول الضرير: ادع الله أن يعافيني،وجـواب الرسول ﷺ: إن شئتَ دعـوتُ ، وإن شئت صبرت وهو خير.

الثاني: انّه يجوز للإنسـان الداعي أن يتوسـل بذات النبي ﷺ في ضمن دعائه وهـذا يستفاد من الدعاء الـذي علّمه النبي ﷺ للضرير،

---

١ .و٢. صحيـح الترمذي٥، كتـاب الـدعوات، البـاب ١١٩ بـرقـم ٣٥٧٨ ؛سنن ابـن ماجة:١/ ٤٤١ برقم ١٣٨٥؛ مسندأحمد:٤/ ١٣٨؛ إلى غير ذلك.

والإمعان فيه يثبت هذا المعنى، وانّه يجوز لكلّ مسلم في مقام الدعاء أن يتوسل بذات النبي ﷺ ويتوجه به إلى الله.

و إليك الجمل التي تدل علىٰ هذا النوع من التوسل:

١ . اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجه إليك بنبيّك

انّ كلمه «بنبيّك» متعلّق بفعلين «أسألك» و«أتوجه إليك» والمراد من النبي ﷺ نفسه القدسية وشخصيته الكريمة لا دعاءه.

٢ . محمد نبي الرحمة

نجد انّه يذكر اسم النبي ﷺ ثمّ يصفه بنبي الرحمة معرباً عن أنّ التوسل بذات النبي ﷺ بما لها من الكرامة والفضيلة.

٣. يا محمّد إنّي أتوجه بك إلىٰ ربّي

إنّ جملة: «يا محمّد إنّي أتوجه بك إلىٰ ربّي» تدل على أنّ الضرير حسب تعليم الرسول، اتخذ النبي ﷺ نفسه وسيلة لدعائه وتوسل بذاته بما لها من المقام والفضيلة.

وهذا الحديث يرشدنا إلى أمرين:

الأوّل: جواز التوسل بدعاء الرسول.

الثاني: جواز التوسل إلى الله بذات النبي ﷺ بما لها من الكرامة والمنزلة عند الله تبارك و تعالى.

أمّا الأوّل، فقد جاء في محاورة الضرير مع النبي ﷺ ،فكان

الموضوع هو دعاء الرسول، أي طلب الضرير الدعاء منهﷺ.

وأمّا الثاني، فيستفاد من الدعاء الذي علّمه الرسولﷺ للضرير، فانّه يضمن التوسل بشخص النبيﷺ.

نعم لم يكن يدور في خلد الضرير سوى التوسل بدعائه ولكن الرسولﷺ علمه دعاء جاء فيه التوسل بذات النبي ﷺ وهو في نوعه توسل ثان، وبذلك وقفنا علىٰ أنّه يستحب للمسلم أن يتوسل بدعاء الصالحين من الأنبياء والأولياء كما يجوز له في دعائه التوسل بذواتهم ومقامهم ومنزلتهم.

ويظهر من الأحاديث الشريفة انّ أصحاب النبي ﷺ كانوا يتوسلون بذات النبي ﷺ في مقام الابتهال والدعاء حتى بعد رحيل النبيﷺ.

أخرج الطبراني، عن أبي أُمامة بن سهل بن حنيف، عن عمّه عثمان بن حنيف: انّ رجلاً كان يختلف إلىٰ عثمان بن عفان في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقىٰ ابن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائتِ الميضاة فتوضأ، ثم ائتِ المسجد فصلِ فيه ركعتين، ثمّ قل: «اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجه إليك بنبيّنا محمّد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إنّي أتوجه بك إلىٰ ربّي فتقضىٰ لي حاجتي» فتذكر حاجتك ورح حتى أروح معك.

فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثمّ أتىٰ باب عثمان بن عفان،

فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله علىٰ عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسة، فقال: [ما]حاجتك؟ فذكر حاجته وقضاها له، ثمّ قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة. وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها.

ثمّ إنّ الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليَّ حتّى كلّمته فيّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلّمته، ولكني شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي ﷺ: فتصبر؟ فقال: يا رسول الله ليس لي قائد وقد شقّ عليَّ.

فقال النبي ﷺ: إئت الميضاة فتوضأ، ثمّ صلّ ركعتين، ثمّ ادع بهذه الدعوات.

قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنّه لم يكن به ضّر قط.[١]

***

إنّ سيرة المسلمين في حياة النبي ﷺ وبعدها، استقرت علىٰ أنّهم كانوا يتوسلون بأولياء الله والصالحين من عباده، دون أن يدور في خلد أحد منهم بأنّه أمر حرام أو شرك أو بدعة، بل كانوا يرون التوسل بدعاء

١. المعجم الكبير للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني: ٩/ ٣٠ـ ٣١، باب ما أسند إلى عثمان بن حنيف برقم ٨٣١١؛ والمعجم الصغير له أيضاً: ١/ ١٨٣ـ ١٨٤.

الصالحين طريقاً إلى التوسل بمنزلتهم، وشخصيتهم، فانّه لو كان لدعاء الرجل الصالح أثر، فإنّما هو لأجل قداسة نفسه وطهارتها، ولولاهما لما استجيبت دعوته، فما معنى الفرق بين التوسل بدعاء الصالح وبين التوسل بشخصه وذاته، حتى يكون الأوّل نفس التوحيد و الآخر عين الشرك أو ذريعة إليه.

إنّ التوسل بقدسية الصالحين، والمعصومين من الذنب، والمخلصين من عباد الله لم يكن قط أمراً جديداً بين الصحابة بل كان ذلك امتداداً للسيرة الموجودة قبل الإسلام، فقد تضافرت الروايات التاريخية علىٰ ذلك و إليك البيان:

١ . استسقاء عبد المطلب بالنبي ﷺ وهو رضيع:

لقد استسقى عبد المطلب بالنبي ﷺ وهو طفل صغير، حتى قال ابن حجر: إنّ أبا طالب يشير بقوله:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

إلى ما وقع في زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبي ﷺ معه غلام.[1]

٢ . استسقاء أبي طالب بالنبي ﷺ:

أخرج الحلبي عن جلهمة بن عرفلة، قال: قدمت مكة وقريش في

١ . فتح الباري: ٢/ ٣٩٨؛ دلائل النبوة: ٢/ ١٢٦.

قحط .... فقالت قريش: يا أبـا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال، فهلم فاستسق، فخـرج أبو طالب ومعه غلام ــ يعني : النبي ﷺ كأنّه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء، وحوله اغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بـالكعبة، ولاذ باصبعه الغلام وما في السماء قـزعه، فأقبل السحاب من هاهنا و من هاهنا واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي، وفي ذلـك يقول أبو طالب في قصيـدة يمدح بها النبي ﷺ:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمةللأرامل[١]

و قد كان استسقاء أبي طالب بالنبيﷺ وهو غلام، بل استسقاء عبـد المطلب بـه وهو صبـي أمراً معـروفاً بين العـرب، وكان شعـر أبي طالب في هذه الواقعة مما يحفظه أكثر الناس.

ويظهر مـن الروايـات أنّ استسقاء أبي طـالب بـالنبي ﷺ كان موضـع رضا مـن رسول الله ﷺ فانّـه بعد ما بعـث للرسالـة استسقى للناس، فجـاء المطر واخصـب الوادي فقـال النبيﷺ :«لو كـان أبو طالب حيّاً لقرّت عيناه، من ينشدنا قوله؟».

فقام علي عليه السلام وقال: يا رسول الله ﷺ كأنّك أردت قوله:

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل[٢]

١. السيرة الحلبية:١/ ١١٦.

٢. إرشاد الساري: ٢/ ٣٣٨.

إنّ التوسل بالأطفال الأبرياء في الاستسقاء أمر ندب إليه الشرع الشريف، فهذا هو الإمام الشافعي يقول : أن يخرج الصبيان، ويتنظفوا للاستسقاء وكبار النساء ومن لا هيئة له منهنّ، ولا أحب خروج ذوات الهيئة ولا آمر بإخراج البهائم.(١)

وما الهدف من إخراج الصبيان والنساء الطاعنات في السن، إلاّ استنزال الرحمة بهم وبقداستهم وطهارتهم، وكلّ ذلك يعرب عن أنّ التوسل بالأبرياء والصلحاء والمعصومين مفتاح استنزال الرحمة وكأنّ المتوسل بهم يقول: ربّي و سيدي انّ الصغير معصوم من الذنب،و الكبير الطاعن في السن أسيرك في أرضك، وكلتا الطائفتين أحقّ بالرحمة والمرحمة، فلأجلهم أنزل رحمتك إلينا،حتىٰ تعمنا في ظلهم.

فانّ الساقي ربما يسقي مساحة كبيرة لأجل شجرة واحدة وفي ظلها تسقى الأعشاب غير المفيدة.

وعلىٰ ضوء هذا التحليل يفسر توسل الخليفة بعمّ الرسول: «العباس بن عبد المطلب» الذي سيمر عليك، وأنّه كان توسلاً بشخصه وقداسته وصلته بالرسول ﷺ وتعلم بالتالي انّ هذا العمل كان امتداداً للسيرة المستمرة، وانّ هذا لا يمت إلى التوسل بدعاء العباس بصلة.

١. الأُمّ:١/ ٢٤٨، باب خروج النساء والصبيان في الاستسقاء.

٣.التوسل بعمّ النبي ﷺ

أخرج البخاري في صحيحه ،عن أنس: «انّ عمر بن الخطاب كان إذا قَحَطوا استسقىٰ بالعباس بن عبد المطلب (رض) فقال: اللّهمّ إنّا كنّا نتوسل إليك بنبيّنا فتسقينا، وانّا نتوسل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا. قال: فيسقون».[1]

هذا ما نصّ عليه البخاري وهو يدل على أنّ عمر بن الخطاب عند دعائه واستسقائه توسل بعمّ النبي ﷺ وشخصه وشخصيته وقدسيته وقرابته من النبي ﷺ لا بدعائه ويدل على ذلك:

قول الخليفة عند الدعاء: «اللّهمّ كنّا نتوسل إليك بنبيّنا فتسقينا وانّا نتوسل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا» وهذا ظاهر في أنّ الخليفة قام بنفسه بالدعاء عند الاستسقاء، وتوسل بعمّ الرسول وقرابته منه في دعائه.

ج. التوسل بحقّ النبي ﷺ والأنبياء والصالحين

وهناك لون آخر من التوسل وهو التوسل بحقّ الأنبياء والمرسلين، والمراد الحقّ الذي تفضل به سبحانه عليهم فجعلهم أصحاب الحقوق، وليس معنىٰ ذلك انّ للعباد أو للصالحين على الله حقّاً ذاتياً يلزم عليه تعالى الخروج منه، بل الحقّ كلّه لله، وإنّما المراد ،

١. صحيح البخاري:٢/ ٢٧ ، باب صلاة الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا من كتاب الصلاة.

الحقّ الذي منحه سبحانه لهم تكريماً، وجعلهم أصحاب حقّ على الله، كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.(١)

ويدل على ذلك من الروايات ما يلي:

أ. روى أبو سعيد الخدري: قال: قال رسول الله ﷺ: من خرج من بيته إلى الصلاة، وقال: اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ السائلين عليك، وأسألك بحقّ ممشاي هذا،فانّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة وخرجت اتقاء سُخْطِك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي انّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت، أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك.(٢)

ب. روى عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: لما اقترف آدم الخطيئة، قال: ربّي أسألك بحقّ محمّد لما غفرت لي، فقال الله عزّوجلّ: يا آدم كيف عرفت محمّداً ولم أخلقه قال: لأنّك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلاّ الله، محّمد رسول الله، فعلمت انّك لم تضف إلى اسمك إلاّ أحبّ الخلق إليك، فقال الله عزّ وجلّ: صدقت يا آدم انّه لأحبّ الخلق إليّ ، وإذا سألتني بحقّه فقد غفرت ولولا محمّد ما خلقتك.(٣)

---

١. الروم:٤٧.

٢. سنن ابن ماجة:١/ ٢٥٦رقم ٧٧٨، باب المساجد؛ مسند أحمد:٣/ ٢١.

٣. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي:٥/ ٤٨٩، دار الكتب العلمية.

ج. روى الطبراني بسنده عن أنس بن مالك انّه لما ماتت فاطمة بنت أسد حفروا قبرها، فلمّا بلغوا اللحد حفر رسول الله بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه، وقال: الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأُمّي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها، ووسّع عليها مدخلها بحقّ نبيّك والأنبياء الذين من قبلي، فانّك أرحم الراحمين.[1]

إلى هنا تم البحث عن أقسام التوسل الثلاثة وعرفت انّ الجميع يدعمه الكتاب والسنة وتصور انّ التوسل بغيره سبحانه تأليه وعبادة لغيره قد عرفت بطلانه وذلك لوجهين:

الوجه الأوّل: لو كان التوسل بدعاء النبي ﷺ وذاته أو حقّه شركاً يلزم أن يكون كلّ توسل كذلك حتى التوسل بالغير في الأُمور العادية مع أنّه باطل بالضرورة، لأنّ الجميع من قبيل التوسل بالأسباب، عادية كانت أو غير عادية، طبيعيةً كانت أو غير طبيعية.

الوجه الثاني: قد عرفت في تعريف العبادة انّه الخضوع أمام الغير بما هو إله أو ربّ أو مفوّض إليه أُموره سبحانه، وليس واحد من هذه القيود متحقّقاً في التوسل بالأنبياء والصالحين والشهداء بل يتوسل بهم بما انّهم عباد مكرمون يستجاب دعاؤهم عند الله سبحانه، أو انّ

---

١. معجم الطبراني الأوسط: ٣٥٦؛ حلية الأولياء:٣/ ١٢١؛ مستدرك الحاكم: ٣/ ١٠٨.

لذواتهم وحقوقهم منزلة عند الله، فالتوسل بهم يثير بحار رحمته.

كيف يكون التوسل بنبي التوحيد ﷺ شركاً مع أنّه يتوسل به بما انّه مكافح للشرك ومقوض لدعائمه؟

د. التوسل بدعاء النبي ﷺ والصالحين بعد رحيلهم

من أقسام التوسل الرائجة بين المسلمين هو التوسل بدعاء النبي ﷺ أو الصالحين بعد رحيلهم .

ولكن ثمة سؤالاً يطرح نفسه وهو:

انّ التوسل بدعاء الغير إنّما يصحّ إذا كان الغير حياً يسمع دعاءك ويستجيب لك ويدعو الله سبحانه لقضاء وطرك ونجاح سؤالك، أمّا إذا كان المستغاث ميتاً انتقل من هذه الدنيا فكيف يصحّ التوسل بمن انتقل إلىٰ رحمة الله وهو لا يسمع؟

والجواب: انّ الموت ـ حسب ما يوحي إليه القرآن والسنّة النبوية ـ ليس بمعنى فناء الإنسان وانعدامه، بل معناه الانتقال من دار إلى دار وبقاء الحياة بنحو آخر والذي يعبر عنه بالحياة البرزخية.

وتـدل على بقـاء الحيـاة آيات مـن الـذكـر الحكيـم نقتصر على بعضها:

الآية الأُولى:

قوله تعالى: ﴿**وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فـي سَبيلِ اللهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْياءٌ وَلكِنْ لا تَشْعُرُونَ**﴾.[١]

وقد كان المشركـون يقولون: إنّ أصحاب محمّـد يقتلون أنفسهم في الحروب دون سبب، ثمّ يقتلون ويموتون فيـذهبون، فوافى الوحي رداً عليهم بأنّه ليس الأمر على ما يقولون، بل هم أحياء و إن كان المشركون وغيرهم لا يدركون ذلك.

الآية الثانية

قوله تعالى: ١. ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلُوا في سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون**﴾.

٢. ﴿**فَرِحيـنَ بِما آتاهُـمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِـرُونَ بِالَّذيـنَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاّ خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾.

٣. ﴿**يَسْتَبْشِـرُونَ بِنِعْمَـةٍ مِـنَ اللهِ وَفَضْـلٍ وَأَنَّ اللهَ لا يُضيـعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنينَ**﴾.[٢]

---

١. البقرة:١٥٤.

٢. آل عمران:١٦٩ـ١٧١.

والآيـات هذه صريحة في بقـاء الأرواح بعـد مفـارقتها الأبـدان، وبعد انفكاك الأجسام و بلاها، كما يتضح ذلك من الإمعان في المقاطع الأربعة التالية:

١. ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

٢. ﴿يُرْزَقُونَ﴾.

٣. ﴿فَرِحِينَ﴾.

٤. ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

والمقطع الثـاني يشير إلى التنعم بالنعم الإلهيـة، والثالث والـرابع يشير إلى النعـم الروحيـة والمعنويـة، وفي الآية دلالـة واضحة علىٰ بقـاء الشهداء بعد الموت إلىٰ يوم القيامة.

وقد نزلت الآية: إمّا في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلاً ثمانية من الأنصار وستة مـن المهاجرين، و إمّا في شهداء أُحـد وكانوا سبعين رجلاً، أربعة من المهاجريـن: حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وعثمان بن شماس، وعبد الله بـن جحش وسائرهم مـن الأنصار، وعلى قول نزلت في حقّ كلتا الطائفتين.

الآية الثالثة

قوله سبحانه: ﴿وَجاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدينَةِ رَجُـلٌ يَسْعىٰ قالَ يا قَومِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلينَ* اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُـمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ* وَمالِيَ لا

أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرني وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون* ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمٰنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنّي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنقِذُونِ* إِنّي إِذاً لَفي ضَلالٍ مُبينٍ* إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ* قيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قالَ يا لَيْتَ قَوْمي يَعْلَمُونَ* بِما غَفَرَ لي رَبِّي وَجَعَلَني مِنَ الْمُكْرَمينَ* وَما أَنْزَلْنا عَلىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ وَما كُنّا مُنْزِلينَ*إِنْ كانَتْ إِلّا صَيْحَةً واحِدَةً فَإِذا هُمْ خامِدُونَ﴾ .[1]

اتفق المفسرون على أنّ الآيات نزلت في رسل عيسى عليه السلام ، وقد نزلوا بأنطاكيا داعين أهلها إلى التوحيد وترك عبادة غيره سبحانه ، فعارضهم من كان فيها بوجوه مذكورة في نفس السورة .

فبينما كان القوم والرسل يتحاجون إذ جاء رجل من أقصى المدينة يدعوهم إلى الله سبحانه وقال لهم :

إتّبعوا معاشر الكفار من لا يطلبون منكم الأجر ولا يسألونكم أموالكم علىٰ ما جاءوكم به من الهدىٰ ، وهم مهتدون إلى طريق الحقّ ، سالكون سبيله ، ثمّ أضاف قائلاً :

ومالي لا أعبد الذي فطرني وأنشأني وأنعم عليَّ وهداني وإليه ترجعون عند البعث ، فيجزيكم بكفركم أتأمرونني أن أتخذ آلهة من دون الله مع أنّهم لا يغنون شيئاً ولا يردون ضرراً عني ، ولا تنفعني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذونني من الهلاك والضرر، وعندما مهّد السبيل

---

١ . يس:٢٠ـ٢٩.

إلى إبطال مزاعـم المشركين وبيان سخافة منطقهـم، فعندئذٍ خاطب الناس أو الرسـل بقوله: ﴿انّي آمَنْتُ بِرَبّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ فسواء أكان الخطاب للمشركين أو للـرسل فإذا بالكفار قد هاجمـوه فرجموه حتى قتل.

ولكنّه سبحانه جزاه بالأمـر بدخول الجنّة، بقوله: ﴿قيلَ ادخُل الْجَنّة﴾ ثمّ هو خاطب قومه الذين قتلوه، بقوله: ﴿قالَ يا لَيْتَ قَومي يعلَمُون* بِما غَفَر لي رَبّي وَجَعَلَني مِنَ الْمُكْرَمين﴾.

ثمّ إنّه سبحانـه لم يمهل القاتلين طويلاً حتـى أرسل جنداً من السماء لإهلاكهم، يقول سبحانه: ﴿وَما أَنْزَلْنا عَلىٰ قَومِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمـاءِ وَما كُنّا مُنْزلينَ*إنْ كانَتْ إلاّ صَيْحَةً واحِـدَةً فَإذا هُمْ خامِدُونَ﴾.

أي: كان اهلاكهم عن آخرهم بـأيسر أمر، وهي صيحة واحدة حتى هلكوا بأجمعهم، فإذا هم خامدون ساكتون.

ودلالـة الآية علـىٰ بقاء النفـس وإدراكهـا وشعورهـا وإرسالهـا الخطابات إلىٰ مـن في الحياة الدنيا من الوضـوح بمكان، حيث كان دخول الجنّة: ﴿قيل ادخُل الجَنّة﴾ والتمني ﴿يا لَيْتَ قَومي﴾ كان قبـل قيـام السـاعـة، والمـراد من الجنـة هـي الجنـة البـرزخيـة دون الأُخروية.

إلىٰ هنـا تمّ بيان بعض الآيـات الدالة علىٰ بقـاء أرواح الشهداء

الذين بذلـوا مهجهم في سبيل الله . وثمة طائفة مـن الآيات تدل علىٰ بقاء أرواح الكفار بعد انتقالهم عن هذه الدنيا ، مقترنة بألوان العذاب ، وهناك طائفة أُخرىٰ من الآيات تدل على بقاء الروح بعد رحيل الإنسان المـؤمن والكـافـر من هـذه الـدار، ولنـذكر هـذه الآيـات علىٰ وجـه الإيجاز:

١ . ﴿النّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَونَ أَشَدَّ الْعَذاب﴾ .[١]

تدل الآية بوضوح على أنّ آل فرعون يُعرضون على النار قبل قيام الساعـة غدوّاً وعشيّاً ، كمـا انّهم بعد قيامهـا يُدخلون أشـدّ العذاب ، فعذابهم قبل الساعة غير عذابهم بعدها ، وهو دليل صريح على حياة تلك الطغمة .

٢ . ﴿مِمّا خَطيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَادْخِلُوا ناراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصاراً﴾ .[٢]

تدل الآية على أنّ قوم نوح اغرقـوا أوّلاً فادخلوا ناراً ، ولم يجدوا لأنفسهم أنصاراً وليست هذه النار، نار يوم القيامة بشهادة انّه سبحانه يقول : ﴿فادخلوا ناراً﴾ وهو يدل على تحقق الدخـول بلا فاصل زمني بعد الغرق ولو أُريـد نار يوم الساعة لكان الأنسب أن يقول«فيدخلون ناراً» .

---

١ . غافر:٤٦ .

٢ . نوح:٢٥ .

٣. ﴿حَتّىٰ إِذاجاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلّي أَعْمَلُ صالِحاً فيما تَرَكْتُ كَلاّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونِ﴾ .[1]

إنّ الكافر حينما يواجه الموت يجد مستقبل حياته مظلماً وكأنّه يشاهد العذاب الأليم بأم عينه بعد موته فيتمنّى الرجوع إلى الحياة الدنيا، فيجاب بـ ﴿كَلاّ﴾ وما يشاهده ليس إلاّ عذاباً برزخياً لا عذاباً أُخروياً ولذلك يقول سبحانه ﴿وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلىٰ يَومِ يُبْعَثُونَ﴾ .

هذه الآيات وغيرها تعرب عن بقاء الحياة بعد الانتقال عن نشأة الدنيا، وإن أطلق الموت عليه فإنّما هو باعتبار انتهاء أمد حياته الدنيوية و اندثار بدنه وأمّا روحه ونفسه فهي باقية بنحو آخر تتنعم أو تعذَّب .

الصلة بين الحياتين: الدنيوية والبرزخية

ربما يمكن أن يقال: انّ الآيات دلت على كون الشهداء والأولياء بل الكفار أحياء، ولكن لا دليل على وجود الصلة بين الحياتين وانّهم يسمعون كلامنا، وهذا هو الذي نطرحه في المقام ونقول:

دلّ الذكر الحكيم على وجود الصلة بين الحياة الدنيوية والبرزخية بمعنىٰ انّ الأحياء بالحياة البرزخية يسمعون كلامنا

١. المؤمنون:٩٩ـ١٠٠.

ويشـاهدون أفعـالنا، وليسـوا بمنقطعيـن تمام الانقطـاع عن الحيـاة الدنيوية و إليك شواهد من الآيات:

١. قـال سبحانـه: ﴿فَأَخَـذَتْهُمُ الرَّجْفَـةُ فَأَصْبَحُوا فِـي دارِهِمْ جاثِمينَ* فَتَولّىٰ عَنْهُمْ وَقالَ يٰا قَـومِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلٰكِنْ لاٰ تُحِبُّونَ النّاصحينَ﴾.[1]

نزلت الآيـات في قصة النبي صالـح حيث دعا قومـه إلىٰ عبادة الله وترك التعرض لمعجـزته (الناقة) وعدم مسِّها بسـوء، ولكنّهم بدل ذلك فقد عقروا الناقة وعتوا عن أمر ربّهم فعمَّهم العذاب فأصبحوا في دارهم جاثمين، فعند ذلك عاد النبـي صالح يخاطبهم وهم هلكىٰ، بقوله: ﴿فَتَولىٰ عَنْهُـمْ وَقالَ يٰا قَومِ لَقَـدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبّـي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلٰكِنْ لاٰ تُحِبُّونَ النّاصِحينَ﴾.

وقد صدر الخطاب من النبي صالح عليه السلام بعد هلاكهم وموتهم، بشهادة قوله: ﴿فتَولّى عَنْهُم﴾ في صـدر الخطاب المصدرة بـالفاء المشعرة بصدور الخطاب عقيب هلاك القوم.

فلو لم تكن هناك صلة بين الحياتيـن لما خاطبهم النبي صالح بهذا الخطاب.

٢. قـال سبحانـه: ﴿فَأَخَذَتْهُـمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُـوا فِي دارِهِمْ

---

١ الأعراف:٧٨ـ٧٩.

جاثِمينَ* الَّـذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبـاً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوا فِيهٰـا الَّذِينَ كَذَّبُـوا شُعَيْباً كانُوا هُمُ الْخاسِرينَ* فَتَوَلّـىٰ عَنْهُمْ وَقالَ يٰا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسٰالاتِ رَبّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسى عَلىٰ قَومٍ كافِرينَ﴾ .(١)

وقد وردت هـذه الآية فـي حقّ النبـي شعيب عليه السلام ودلالة الآيـة كدلالـة سابقتهـا ، حيث يخـاطب شعيبُ قـومَه بعـد هلاكهـم ، فلو كـانت الصلـة مفقودة ولـم يكن الهـالكون بسبـب الرجفـة سامعيـن لخطاب نبيهم ، فما معنى خطابه لهم؟

٣ . قـال سبحانـه : ﴿وَسْئَـلْ مَنْ أَرْسَلْنـا مِنْ قَبْلِـكَ مِنْ رُسُلِنٰـا أَجَعَلْنٰا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ اٰلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ .(٢)

ترى انّه سبحانه يأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسؤال الأنبياء الذين بعثوا قبله وأمّا مكان السؤال فلعلّه كان في ليلة الاسراء.

السنة الشريفة والصلة بين الحياتين

ثمة روايـات متضافـرة بل متواتـرة تدل على وجـود الصلة بين الحياتين، وجمع هذه الروايات بحاجة إلى تأليف كتاب مفرد.

ونكتفـي هنا بـالحديث المتفـق عليـه بين المسلمين وهو تكليـم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل القليب.

---

١ . الأعراف:٩١ـ٩٣.

٢ . الزخرف:٤٥.

لقد انتهت معركة بدر بانتصار المسلمين وهزيمة المشركين قتل منهم قرابة سبعين من صناديدهم وساداتهم وطرحت جُثث قتلاهم في القليب، فوقف النبي ﷺ يخاطبهم واحداً تلو الآخر، ويقول: يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، يا أُمية بن خلف، يا أباجهل، و هكذا عدَّ من كان منهم بالقليب، وقال: هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً؟! فانّي قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً .

فقال له أصحابه: يا رسول الله أتنادي قوماً موتىٰ؟!

فقال عليه السلام : ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم، ولكنّهم لا يستطيعون أن يجيبوني.

يقول ابن هشام بعد هذا النقل: إنّ النبي ﷺ قال: يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذَّبتموني وصدَّقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس.

ثمّ قال: هل وجدتم ما وعدكم ربّي حقّاً ؟!.[١]

أخرج البخاري : عن نافع انّ ابن عمر أخبره، قال: اطّلع النبي عليه السلام علىٰ أهل القليب، فقال: وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً؟!

فقيل له: ندعوا أمواتاً، فقال: ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون.[٢]

١. السيرة النبوية :١/ ٦٤٩؛ السيرة الحلبية:٢/ ١٧٩و١٨٠.
٢. صحيح البخاري: ٩ :٩٨، باب ما جاء في عذاب القبر من كتاب الجنائز.

وأخيراً نقول: إنّ جميع المسلمين ــ على الرغم من الخلافات المذهبية بينهم في فروع الدين ـ يسلمون على رسول الله ﷺ في الصلاة عند ختامها ويقولون:

«السّلام عليك أيُّها النَّبيّ ورَحمة الله وبركاته».

وقد أفتى الإمام الشافعي وآخرون بوجوب هذا السلام بعد التشهد، وأفتى الآخرون باستحبابه، لكن الجميع متفقون على أنّ النبي ﷺ علمهم السلام وانّ سنة النبي ﷺ ثابتة في حياته وبعد وفاته.[1]

فلو انقطعت صلتنا بالنبي ﷺ بوفاته، فما معنى مخاطبته والسلام عليه يومياً؟!

سؤال و جواب

لو كانت الصلة بيننا وبين من فارقوا الحياة موجودة فما معنى قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّكَ لاٰ تُسْمِعُ الْمَوتى﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿وَمٰا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُور﴾.[3]

والجواب : بملاحظة الآيات السابقة هو انّ المراد من الإسماع، الإسماع المفيد، ومن المعلوم انّ سماع الموتى أو من في القبور لا يجدي

١. تذكرة الفقهاء:٣/ ٣٣٣، المسألة ٢٩٤؛ الخلاف:١/ ٤٧.

٢. الروم:٥٢.

٣. فاطر:٢٢.

نفعاً بعدما ماتوا كافرين، وإلاّ فهذا هو النبي ﷺ، يقول: «الميت يسمع قرع النعال» في حديث أخرجه البخاري عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: إنّ العبد إذا وضع في قبره وتولّى عنه أصحابه حتى أنّه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيُقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمّد ﷺ فيقول: أشهد انّه عبد الله ورسوله إلى آخر ما نقل.[1]

وقد مرّ انّ النبي ﷺ كان يزور القبور، و يخرج آخر الليل إلى البقيع، فيقول: السّلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون، غداً مأجلون وانّا إن شاء الله بكم لاحقون، اللّهمّ اغفر لأهل بقيع الغرقد.[2]

اتّفق المسلمون علىٰ تعذيب الميت في القبر، أخرج البخاري عن ابنة خالد بن سعيد بن العاص انّها سمعت النبي ﷺ وهو يتعوذ من عذاب القبر، وأخرج عن أبي هريرة كان رسول الله ﷺ يدعو : اللّهمّ إنّي أعوذ بك من عذاب القبر و من عذاب النار.[3]

كلّ ذلك يدل على أنّ المراد من نفي الاسماع هو الاسماع المفيد. تحقيقاً لقوله سبحانه: ﴿**حَتّىٰ إذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوتُ قالَ رَبِّ ارجِعُونِ* لَعَلّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها**

---

١. البخاري: الصحيح: ٢/ ٩٠، باب الميت يسمع خفق النعال.

٢. صحيح مسلم: ٣/ ٦٣، باب ما يقال عند دخول القبور من كتاب الجنائز.

٣. البخاري: الصحيح: ٢/ ٩٩، باب التعوذ من عذاب القبر من كتاب الصلاة.

﴿وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلىٰ يَومِ يُبْعَثُون﴾[١] حيث إنّ الآية صريحة في ردّ دعوة الكفّار حيث طلبوا من الله سبحانه أن يُرجعهم إلى الدنيا حتى يعملوا صالحاً، فيأتيهم النداء«بكلا» فيكون تمنيهم بلا جدوىٰ ولا فائدة كما انّ سماع الموتىٰ كذلك، لا انّهم لا يسمعون أبداً، إذ هو مخالف لما مرّ من صريح الآيات والروايات.

هـ. طلب الشفاعة

اتّفقت الأُمّة الإسلامية على انّ الشفاعة أصل من أُصول الإسلام نطق به الكتاب والسنّة النبوية، وأحاديث العترة الطاهرة، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين و إن اختلفوا في بعض خصوصياتها.

وأجمع العلماء على أنّ النبي ﷺ أحد الشفعاء يوم القيامة، إلاّ أنّ الكلام في المقام في طلب الشفاعة من النبي ﷺ فهل يجوز أن نقول: يا رسول الله اشفع لنا عند الله، كما يجوز أن نقول: اللّهمّ شفّع نبيّنا محمّداً ﷺ فينا يوم القيامة، أو لا يجوز؟ تظهر حقيقة الحال من خلال الوجوه التالية:

الوجه الأوّل: انّ حقيقة الشفاعة ليست إلاّ دعاء النبي ﷺ أو الولي عليه السلام في حقّ المذنب وإذا كانت هذه حقيقتَها فلا مانع من طلبها من الصالحين، لأنّ غاية هذا الطلب هو طلب الدعاء، فلو قال

---

١. المؤمنون:٩٩ـ١٠٠.

القائل: «يا وجيهاً عند الله اشفع لنا عند الله» يكون معناه ادع لنا عند ربّك فهل يرتاب في جواز ذلك مسلم؟

والدليل على أنّ الشفاعة هو طلب الدعاء، ما أخرجه مسلم، عن عبد اللهبن عباس، انّه قال: سمعت رسول الله يقول: ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلاّ شفّعهم الله فيه.[1] أي قُبل شفاعتهم فيه وليست شفاعتهم إلاّ دعاؤهم له بالغفران.

وعلى هذا فلا وجه لمنع الاستشفاع بالصالحين إذا كان مآله إلىٰ طلب الدعاء.

الوجه الثاني: انّ سيرة المسلمين تكشف عن جواز طلب الشفاعة في عصر النبي ﷺ وبعده.

أخرج الترمذي في سننه عن أنس قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: أنا فاعل، قال: قلت يا رسول الله فأين أطلبك؟ فقال: اطلبني أوّل ما تطلبني على الصراط.[2]

نقل ابن هشام في سيرته: انّه لما توفّي رسول الله ﷺ كشف أبو بكر عن وجهه و قبله، وقال: بأبي أنت و أُمّي أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثمّ لن تصيبك بعدها موتة أبداً.[3]

---

١. صحيح مسلم: ٣/ ٥٣، باب من صلّىٰ عليه أربعون شفعوا فيه من كتاب الجنائز.

٢. سنن الترمذي: ٤/ ٦٢١، كتاب صفة القيامة.

٣. السيرة النبوية: ٢/ ٦٥٦، ط عام ١٣٧٥هـ و هو يدل على وجود الصلة بين الاحياء والأموات وقد جئنا به لتلك الغاية

وقال الرضي في نهج البلاغة: لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من تغسيل النبي صلى الله عليه وآله قال كلاماً و في آخره: «بأبي أنت و أُمّي طبت حياً وطبت ميتاً ...أذكرنا عند ربّك».[1]

انّ كلام الإمام يدلّ على عدم الفرق في طلب الشفاعة من الشفيع في حين حياته وبعد وفاته، وقد كان الصحابة يطلبون الدعاء من النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاته.

وتصور انّ طلب الشفاعة من الشفيع الواقعي شرك تصور خاطئ، فانّ المراد من الشرك في المقام هو الشرك في العبادة، وقد علمت انّ مقومه هو الاعتقاد بأُلوهية المدعوّ أو ربوبيته أو كون مصير العبد بيده، وليس في المقام من ذلك شيء.

إنّ طالب الشفاعة من الشفعاء الصالحين ـ الذين أذن الله لهم بالشفاعة ـ إنّما يعتبرهم عباداً لله مقربين لديه، وجهاء فيطلب منهم الدعاء، وليس طلب الدعاء من الميت عبادة له، و إلاّ لزم كون طلبه من الحي عبادة لوحدة واقعية العمل.

وقياس طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وآله بطلب الوثنيين الشفاعةَ من الأصنام قياس مع الفارق، لأنّ المشركين كانوا على اعتقاد بأُلوهية معبوداتهم وربوبيتها، و أين هذا من طلب الموحد الذي لا يراه إلهاً ولا ربّاً ولامن بيده مصير حياته؟! و إنّما تعتبر الأعمال بالنيات لا بالصور والظواهر.

---

١. بحارالأنوار:٢٢/ ٥٤٢، الحديث ٥٥.

٦

انتفاع الموتى بأعمال الأحياء

ينتفع الإنسان بالإيمان إذا انضمّ إليه العمل الصالح ولا ينفع إيمان تجرد عن العمل، ولأجل ذلك قرن الله سبحانه العمل الصالح إلى جانب الإيمان في أكثر الآيات، وقال: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ**﴾.[1] فالاعتماد على الإيمان مجرداً عن العمل فعل الحَمْقىٰ.

وهذا هو الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام يؤكد في خطبته على العمل، إذ يقول: «فَاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل».[2]

ويقول في خطبة أُخرى: «ألا وإنّ اليوم المضمار وغداً السباق و السَّبقَة الجنةُ والغايةُ النارُ، أفلا تائب من خطيئته قبل منيّته، ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه».[3]

انتفاع الإنسان بعمله وعمل غيره

كما أنّ الإنسان ينتفع بعمل نفسه كصلاته و صومه كذلك ينتفع

---

١. العصر:٣.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ٤٢.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ٢٨.

بعمل غيره إذا كان لـه دور فيه كما إذاخلّف أعمالاً خيرية يستفيـد منه الناس كصـدقة جـارية أجراهـا أو إذا ترك علماً ينتفـع به أو ربّـىٰ ولداً صالحاً يدعو له، فهو ينتفع بصدقاته وعلومه ودعاء ولده.

ونظيره الجسر الـذي بناه، والنهـر الذي أجـراه، والمدرسة التـي شيّدها، والطـريق الذي عبّده، فقد ينتفع بـه لأنّها أعمال قام بها بنفسه باقية بعد موته.

أخـرج مسلم في صحيحـه انّ رسـول الله ﷺ ،قال:« إذا مـات الإنسان انقطع عنه عملـه إلاّ من ثلاثة:إلاّ من صدقـة جارية ، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».[1]

وأخرج مسلم، عن جرير بن عبد الله، قال: قال رسول الله : من سنَّ في الإسلام سنّة حسنـةفعمل بها بعده كتب له مثل أجـر من عمل بها ولا ينقص من أُجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنّة سيئة فعمل بها بعـده كتب عليـه مثل وزر مـن عمل بها ولا ينقـص من أوزارهـم شيء.[2]

ففـي هذا المورد ينتفـع الميت بعـد مـوته بعمـل الغير لقيامـه في ترغيـب ذلك الغير وتشويقـه إلىٰ فعله، فانّ من سـنّ سنة حسنة كـأنّه يدعو الغير بعمله هذا إلى الاقتداء به.

---

١. صحيح مسلم:٥/ ٧٣، باب وصول ثواب الصدقات إلى الميت من كتاب الهبات.
٢. صحيح مسلم:٨/ ٦١، باب «من سنّ سنة حسنة أو سيئة» من كتاب العلم.

إنّما الكلام فيما إذا لم يكن للميت نصيب في العمل، فهل يصل ثواب عمل الغير إليه إذا أهدىٰ صاحب العمل ثوابه إليه ؟

فالظاهر من الكتاب والسنّة انّه سبحانه بعميم فضله وواسع جوده يوصل ثواب عمل الغير إلى الميت فيما إذا قام الغير بعمل صالح نيابة عنه وبعث ثوابه إليه، ويدل عليه لفيف من الآيات والروايات.

١. استغفار الملائكة للمؤمنين

قال تعالى: ﴿الَّذينَ يَحْمِلُونَ الْعَرشَ وَمَنْ حَولَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذينَ آمَنُوا رَبَّنا وَسِعتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاْغْفِرْ لِلَّذينَ تابُوا وَاْتَّبَعُوا سَبيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحيم﴾.[١]

وقال تعالى:

﴿تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ أَلا إِنّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحيم﴾.[٢]

٢. دعاء المؤمنين للسابقين إلى الإيمان

﴿وَالَّذِينَ جاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا اْغْفِرْ لَنا وَلإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالإِيمان وَلا تَجْعَلْ في قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.[٣]

---

١. المؤمن: ٧.

٢. الشورىٰ: ٥.

٣. الحشر: ١٠.

فلو لم يكن لاستغفار الملائكة ودعاء المؤمنين للتابعين سبيل الله مفيداً، فما معنى نقله سبحانه عنهم كما عرفت.

وأمّا الروايات فحدّث عنها ولا حرج.

١. أخرج مسلم، عن عائشة انّ رسول الله ﷺ قال: من مات وعليه صيام صام عنه وليه.(١)

٢. وأخرج أيضاً عن ابن عباس، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله انّ أُمّي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضي عنها، قال: نعم، فدين الله أحقّ أن يقضى.(٢)

٣. روى سعد بن عبادة، انّه قال لرسول الله ﷺ: إنّ أُمّي ماتت و عليها نذر أفيجزي عنها أن أعتق عنها، قال: اعتق عن أُمّك.(٣)

٤. روى أبو هريرة، انّ رجلاً قال للنبي ﷺ: إنّ أبي مات وترك مالاً ولم يوص، فهل يكفر عنه ان أتصدق عنه؟ قال: نعم.(٤)

٥. روى سعد بن عبادة، انّه قال: يا رسول الله، إنّ أُمّ سعد ماتت، فأي الصّدقة أفضل؟ قال: الماء. قال: فحفر بئراً، وقال: هذه لأُمّ سعد.(٥)

١و٢. صحيح مسلم:٣/ ١٥٥ـ ١٥٦، باب قضاء الصيام عن الميت، وفي هذا الباب روايات تركنا ذكرها للاختصار.

٣.سنن النسائي:٦/ ٢٥٣، باب فضل الصدقة على الميت.

٤. صحيح مسلم:٥/ ٧٣، باب وصول ثواب الصدقات إلى الميت من كتاب الهبات.

٥. سنن أبي داود:٢/ ١٣٠ برقم ١٦٨١، باب «في فضل سقي الماء».

واللام في قولـه : هذه لأُمّ سعد هي لام الاختصـاص، نظير قوله سبحانه: ﴿إِنَّما الصَّدقـات لِلْفُقَراء﴾ [1]وهـي دالة على الجهـة التـي تصرف فيها الصدقة، وليست من قبيـل اللام الداخلة علىٰ لفظ الجلالة في قولنا: نـذرت لله، فانّ اللام في هذه الجملة للتقـرب وفي المقام لبيان المحل.

وقد اقتصرنـا بالقليل مـن الكثير فمن أراد الوقـوف على مصادر الروايات فليرجع إلى المصدر أدناه.[2]

وعلى ذلك سارت المذاهب الفقهية الأربعة حيث يفتون بانتفاع الميت بعمل الحي حتى إذا لم يوص به ولم يكن له في السعي نصيب.

فهذه الروايـات والفتاوى تثبت ضابطة كلية وهـي وصول ثواب كلّ عمـل قربي إلى الميـت إذا أُوتي به نيـابة عنـه سواء أكـان من قبيـل الصوم والحج أو غيرهما.

وعلىٰ هـذا يعلم صحّـة عمل المسلمين حيـث يقـومون بـأعمال حسنة صـالحة ربما أهدوا ثـوابها إلى أحبائهم وأعـزتهم الموتى وهـو أمر يوافـق عليه الكتاب والسنـة، فما يقوم به المسلمـون لموتاهم مـن إهداء ثواب الأعمال الصـالحة لهم، أو ما يفعلونـه عند قبور الأنبيـاء والأولياء

---

١. التوبة:٦٠.

٢.لاحظ للوقوف على مصادر هذه الروايات: صحيح مسلم:٥/ ٧٣ـ ٧٨، كتاب النذر؛ سنن النسائي:٦/ ٢٥١ فضل الصدقة على الميت.

من إطعام الطعام وتسبيل الماء بنية أن يصل ثوابها إليهم إنّما يقتدون فيها بسعد بن عبادة الذي سأل النبي ﷺ عن حكم الصدقة عن أُمّه أينفعها؟ فقال ﷺ: نعم، فقال فأيّ الصدقة أفضل؟ قال: الماء فحفر بئراً، وقال: هذه لأُمّ سعد.

فهم في هذا سعديون لا يريدون عبادة الموتىٰ، بل يريدون إيصال الثواب إليهم كما فعل سعد.

النذر لأهل القبور

النذر عبارة عن إلزام الإنسان نفسه بالقيام بأداء عمل إذا قضيت حاجته كأن يقول: لله عليَّ أن أختم القرآن إذا نجحت في الامتحان، هذا هو النذر الشرعي ويعتبر أن يكون النذر لله سبحانه ولا يجوز لغيره .

وربما يلتزم في ضمن النذر إهداء ثواب عمله إلى المقربين له كالأب والأُمّ أو الأنبياء والأولياء، فيقول: نذرت لله أن أختم القرآن واهدي ثوابه لفلان. واللام الداخلة على لفظ الجلالة غير اللام الداخلة على لفظة «فلان» فاللام الأُولى للغاية أي لغاية التقرب إلى الله سبحانه، واللام الثانية لبيان موضع الانتفاع.

هذا هو المتعارف بين المسلمين ينذرون عملاً لله ثمّ يلتزمون بإهداء ثوابه لأحد أولياء الله وعباده الصالحين.

وربما يختصرون في العبارة ويقولون : هـذه ــ الشاة ــ منذورة للنبيﷺ، والمراد هو جهة انتفاعه، والقرآن الكريم مشحون بكلا الاستعمالين .

قال سبحانه حاكياً عن امرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾ [١] فاللام في هذه الآية نظير قولنا: «صليت لله ونذرت لله».

وقال سبحانه: ﴿إِنَّما الصَّدقاتُ لِلْفُقَراءِوَالْمَساكينِ﴾ [٢] واللام للفقراء بمعنى الانتفاع،نظير قولنا عند الاختصار: هذا للنبي ﷺ أو للإمام عليه السلام وقد مضى انّ سعدَ بن عبادة لما حفر بئراً قال: هذه لأُمّ سعد.

وبذلك ظهر انّه لا مانع من النذر للأولياء والصالحين، على ما عرفت من تفسيره.

ولأجل إيضاح الحال نأتي بكلام بعض المفكرين وعلماء الإسلام.

يقول الخالدي: إنّ المسألة تدور مدار نيّات الناذرين ، وإنّما الأعمال بالنيّات فإن كان قصد الناذر الميت نفسه والتقرّب إليه بذلك لم يجز، قولاً واحداً، وإن كان قصده وجه الله تعالى وانتفاع الأحياء ـ بوجه

١ . آل عمران:٣٥.

٢ . التوبة:٦٠.

من الـوجوه ــ به وثوابـه لذلـك المنذور له سـواء عين وجهاً مـن وجوه الانتفاع أو أطلق القـول فيه، وكان هناك ما يطـرد الصرف فيه في عرف الناس أو أقربـاء الميت، أو نحو ذلك ــ ففي هذه الصورة يجب الـوفاء بالنذور.[١]

وقال العزامي في كتاب «فـرقان القرآن» :«... ومن استخبر حال من يفعل ذلك من المسلمين، وجدهم لا يقصدون بذبائحهم ونذورهم للأمـوات ـ مـن الأنبياء والأولياء ــ إلاّ الصدقـة عنهم و جعـل ثوابها إليهم، وقـد علموا أنّ إجماع أهل السنّـة منعقد على أنّ صدقـة الأحياء نافعة للأموات واصلة إليهم، والأحاديث في ذلك صحيحة مشهورة.[٢]

أخرج أبو داود عن ميمونة انّ أباها قال لرسول الله ﷺ:

يا رسول الله انّي نذرت إن وُلد لي ذكر أن أنحر على رأس «بُوانة» في عقبة من الثنايا ، عدّة من الغنم.

قال الراوي عنها: لا أعلم إلاّ أنّها قالت: خمسين.

فقال رسول الله ﷺ: هل من الأوثان شيء؟

قال: لا.

قال: أوف بما نذرت به لله.[٣]

---

١. صلح الاخوان: للخالدي: ١٠٢ ومابعده.

٢. فرقان القرآن: ١٣٣ .

٣. سنن أبي داود:٢/ ٨١.

تجد انّ النبي ﷺ يـؤكّد السـؤال عن وجـود الأصنام في المكـان الذي تـذبح فيه الـذبائح انّ هـذا دليل على أنّ النذر الحرام هـو النذر للأصنـام حيث جـرت عادة أهـل الجاهلية علىٰ ذلـك كما قال تعـالى : ﴿ ... وَما ذبح عَلى النُّصُبِ ... ذلِكُمْ فِسْق﴾ .[1]

وكلّ مـن وقف على أحوال الـزائرين للعتبـات المقدسة ومـراقد أوليـاء الله الصالحين يجد انّهم ينـذرون لله تعـالى ولـرضاه، ويـذبحـون الذبـائح باسمه عزّ وجـلّ بهدف انتفاع صاحب القبر بثـوابها وانتفاع الفقراء بلحومها.

١ . المائدة:٣.

٧

التبرك بآثار الأنبياء والصالحين

جرت سنة الله الحكيمة على إجراء فيضه إلى الناس عن طريق الأسباب العادية، كما هو المشاهد لكلّ واحد منّا إلاّ انّه سبحانه ربما يُجري فيضه عن طريق علل غير مألوفة أو خارقة للعادة لغايات مختلفة، فتارة تكون الغاية هي الاعجاز واثبات النبوة وأُخرى تكون هي اجلال الشخص وتكريمه.

أمّا الأول، فكالمعاجز التي يأتي بها الأنبياء بإذن الله سبحانه في مقام الدعوة والتحدّي، والقرآن يعجّ بهذا النوع من المعجزات.

وأمّا الثاني: فنذكر منه نموذجين:

قال سبحانه: ﴿**كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ يا مَرْيَمُ أَنّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِساب**﴾.[1]

وقال سبحانه: ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيكِ رُطَباً جَنِيّاً**﴾.[2]

---

١. آل عمران:٣٧.

٢. مريم:٢٥.

وما ورد في هذه الآيات من ظهور فيضه سبحانه على خاصة أوليائه إنّما هو من باب الكرامة لا الإعجاز، فلم تكن مريم عليها السلام مدعية للنبوة حتى تتحدىٰ بهذه الكرامة، بل كان تفضّلاً من الله سبحانه عليها في فترات متلاحقة.

ويقرب مما ذكرنا قوله سبحانه: ﴿**اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هٰذا فَأَلْقُوهُ عَلىٰ وَجْهِ أَبي يَأْتِ بَصيراً ... * فَلَمّا أَنْ جاءَ البَشيرُ أَلْقيهُ عَلىٰ وَجْهِهِ فَارتَدَّ بَصيراً**﴾.[1]

وممّا لا شكّ فيه انّ يوسف لم يكن مدعياً للنبوة أمام إخوته حتى يتحدّىٰ بهذه الكرامة، وإنّما كان تفضّلاً من الله عن هذا الطريق لإعادة بصر أبيه يعقوب.

هذه الآيات توقفنا على أنّه سبحانه: يُجري فيضه علىٰ عباده عن طريقين فتارة عن طريق الأسباب العادية، وأُخرى عن طريق أسباب غير عادية.

وأمّا تأثير تلك الأسباب غير العادية كالأسباب العادية فكلّها بإذن الله سبحانه.

وعلى ضوء ذلك كان المسلمون يتبرّكون بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث يتبركون بشعره وبفضل وضوئه وثيابه وآنيته ومسّ جسده الشريف، إلىٰ غير ذلك من آثاره الشريفة التي رواها الأخيار

---

١. يوسف:٩٣ـ٩٦.

عن الأخيار.

فصارالتبرك بها سنة الصحابة واقتدىٰ آثارهم من نهج نهجهم من التابعين والصالحين.

قال ابن هشام في الفصل الذي عقده لصلح الحديبية: إنّ قريشاً بعثت عروة بن مسعود الثقفي إلىٰ رسول الله ﷺ فجلس بين يديه وبعد ما وقف على نية الرسول من خروجه إلىٰ مكة رجع إلىٰ قومه وأخبرهم بما دار بينه و بين الرسول ﷺ، ثمّ قال: إنّ محمّداً لا يتوضأ إلّا وابتدر أصحابه بماء وضوئه، ولا يسقط من شعره شيء إلّا أخذوه، ثمّ قال: يا معشر قريش لقد رأيت كسرىٰ في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وانّي والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوماً لا يسلّمونه لشيء أبداً فَرَوْا رأيكم.[1]

وقد ألف غير واحد من علماء الإسلام ما قام به الصحابة من التبرك بآثار النبي ﷺ نذكر عناوينها :

التبرك بتحنيك الأطفال.

التبرك بالمسح والمس.

التبرك بفضل وضوئه وغسله.

التبرك بسؤر شرابه وطعامه.

---

١. السيرة النبوية: ابن هشام: ٢/ ٣١٤، صلح الحديبية.

إنّ تبرك الصحابة لم يقتصر علىٰ ذلك بل كانوا يتبركون بماء أدخل فيه يده المباركة، وبماء من الآنية التي شرب منها، وبشعره، وعرقه، وظفره، والقدح الذي شرب منه، وموضع فمه، ومنبره، والدنانير التي أعطاها، وقبره وجرت عادتهم على التبرك به، ووضع الخد عليه والبكاء عنده.

وقد ألف المحقّق العلّامة محمد طاهر بن عبد القادر كتاباً باسم «تبرك الصحابة»، وهو من علماء مكة المكرمة قال فيه : أجمعت صحابة النبي ﷺ على التبرك بآثار رسول الله والاهتمام في جمعها وهم الهداة المهديون والقدوة الصالحون فيتبركون بشعره وبفضل وضوئه وعرقه وثيابه وآنيته وبمسّ جسده الشريف، وبغير ذلك ممّا عرف من آثاره الشريفة التي صحت به الأخبار عن الأخيار.

وقد وقع التبرك ببعض آثاره في عهده وأقرّه ولم ينكر عليه، فدلَّ ذلك دلالة قاطعة على مشروعيته، ولو لم يكن مشروعاً لنهىٰ عنه وحذّر منه .

وكما تدل الأخبار الصحيحة و إجماع الصحابة علىٰ مشروعيته تدل على قوة إيمان المتبركين وشدّة محبتهم وموالاتهم ومتابعتهم للرسول الأعظم ﷺ كقول الشاعر:

أمرّ على الديار ديار ليلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وماحبّ الديار شغفن قلبي ... ولكن حبّ من سكن الديارا[1]

---

١. تبرك الصحابة: ٥٠.

٨

البدعة والاحتفال بميلاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

البدعة في اللغة بمعنى الانشاء والابداع، وأمّا في مصطلح الفقهاء هو إدخال ما ليس من الدين في الدين، وعدُّ ما ليس من الدين منه، وقد أطبق المسلمون على تحريمه لإطباق الأدلة عليه وإلى المعنى المصطلح يشير صاحب القاموس، ويقول: البدعة: الحدث في الدين بعد الإكمال أو ما استحدث في الدين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأهواء.

فالمعنى الجامع للبدعة هو الافتراء على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ،ونشر الافتراء بعنوان انّه من الدين، قال سبحانه: ﴿ءآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾[1] فالآية تدل على أنّ كلّ ما ينسب إلى الله سبحانه بلا إذن منه فهو أمر محرم، ومن أدخل في الدين ما ليس من الدين أو لا يعلم انّه منه، فقد افترى على الله.

وقد عُدَّ المفتري على الله من أظلم الناس، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.[2]

---

١. يونس:٥٩.

٢. الأنعام:٢١.

هذا، ودلت السنة أيضاً على حرمة البدعة، قال رسول الله ﷺ:

أمّا بعـد، فانّ أصدق الحديـث كتاب الله، وأفضـل الهدىٰ هدىٰ محمّد، وشرّ الأُمور محدثـاتها، وكلّ محدثة بدعـة، وكلّ بدعة ضـلالة في النار.

وقد أوضحه ابن حجر العسقلاني بقوله: المحدثات جمع محدثة، والمراد بها ما أحدث وليس لـه أصل في الشرع، ويسمىٰ في عرف الشرع بدعـة، وما كان له أصـل يدل عليه الشرع فليـس ببدعة، فالبـدعة في عرف الشرع مذمومة.(١)

والـروايات في تحريـم البـدعـة كثيرة اكتفينا بما سبـق، ومـن أراد التفصيل فليرجع إلى المصدر المذكور في الهامش.(٢)

فإذا كانت البدعة هي الافتراء على الله ورسوله والتلاعب بدينه، وادخال ما ليس من الدين، أو ما لم يُعلم انّه من الدين في الدين، فعلى الباحث المتضلّع تمييز ما ليس ببدعة عن البدعة وان اشتركا في إطلاق تسمية «البدعة» عليهما، وإليك أقسامها:

الأوّل: أن يقوم به الإنسـان بما انّه من الدين، وهو إمّـا ليس من الدين قطعاً أو يشـك انّه من الدين و مع ذلـك يدخله فيه وينشره بين الأُمّة.

وعلى هذا فلو قام أحد بعمل بديع ليس له مثيل، ولكن من دون

١. فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ١٣/ ٢٥٣.
٢. جامع الأُصول لابن الأثير: ٩/ ٥٦٦.

أن ينسبه إلى الـدين فهو ليس ببـدعة، كالصنائع الجديـدة، والألعاب الرياضية، التي ابتدعها الإنسـان لتوفير الراحة لنفسه إلىٰ غير ذلك من الفوائد المترتبة عليها.

فهذه الصنائع والألعاب لم تكن في عصر الـرسول ولا الصحابة ولا التابعين ولكن الإنسان أبدعها وانشـأها دون أن يعزوها إلى الدين، فإذاً لا تكون بدعة.

نعم مجرد انّها ليست بدعة لا يكون دليلاً علىٰ حلّيتها بل يستنبط حكمها من جهة الحلية والحرمة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

فالصنائع والألعـاب الرياضية من المحـدثات ولكنّهما حلالان شرعـاً لعدم انطبـاق عنـوان محرم عليهما، بخـلاف بعض المحـدثـات كاختلاط النساء والرجـال في الحفلات، فهو أمر محدث مُحرّم، لانطباق عنوان محرم عليه وهو اختلاط الرجال بالنساء السافرات.

الثاني: ما يبدعه الإنسان وينشئه وليس له نظير في السابق، ولكن يأتي بـه باسم الـدين وله أصـل كلي في الشريعة وإن لم ترد الخصـوصية فيها. فهذا ما يسمّىٰ بدعة لغة ولا يكون بدعة شرعاً.

أمّا كونه بدعة لغة فلكونه أمـراً جديداً وإنشاءً حديثاً في الدين، وامّا انّه ليس ببـدعة شرعاً، لوجود أصل كلّي له فيهـا مسوغ له، وإليك الأمثلة التالية:

أ. انّ الدفاع عن بيضة الإسلام وصيانة حدوده من الأعداء أصل

ثابت في القرآن الكريـم، قال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[1] وهذا هو الأصل الثابت في الإسلام، وأمّا كيفية الدفاع فلم يرد فيهـا دليل خـاص، بل أوكلـه الشارع إلى مقتضيـات الزمـان فالتـزوّد بالأسلحة الحديثة كالسفن الحربية والطائرات المقاتلة إلى غير ذلك من وسائل الدفاع ليس بدعة، بل تجسيد للأصـل الثابت في الشرع أعني: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُـمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾،فهذا النوع مـن التسليح ورد في الشرع أصله و إن لم يرد بخصوصياته.

ب. حثّ الإسـلام على الإحسان إلى اليتامىٰ والمساكين والـرأفة بهم والعطف عليهم وحفظ أموالهم بيـد انّ هذا الأمر الكلي الذي جاء في الشرع لـه أســاليـب مختلفـة تُجاري مقتضيــات كـلّ عصر ومصر وإمكـانياتهم المتـاحة، فـاللازم امتثـال ما نـدب إليه الشرع، أعنـي: الأصل الكلي، وأمّا تبيين كيفيته فمتروك إلى المستجدات الزمانية.

ج. ندب الشرع المقدس إلى التربية والتعليم ومكافحة الأُميّة ولا شـكّ انّ لهذا الأمر الكلي أشكـالاً وألوانـاً مختلفة تتبـدل حسب تبـدل الظروف حيث كانت التربية والتعليـم في العصور السابقة تتحقق من خلال الكتابة بالقصب والـدواة، وجلوس المتعلم للاستماع إلى معلّمه، إلاّ انّ ذلـك تطور اليـوم إلىٰ أساليـب جـديدة تستخـدم فيها الأجهـزة المتطورة كالاذاعـة والتلفزة والكومبيوتر والاشرطة إلى غيرهـا من وسائل

---

١. الأنفال:٦٠.

التعليم الحديثة.

إنّ الشارع المقدس لا يخالف هذا التطور ولا يمنع من استخدام الأجهزة والأساليب الحديثة، وإنّما أمر بالتعليم والتعلم، وترك اتخاذ الأساليب إلى الظروف والمقتضيات.

ولو كان أصرّ علىٰ اتخاذ كيفية خاصة، لفشل في هدفه المقدس ولفقد مبرّرات خلوده واستمراره، لأنّ الظروف ربما لا تناسب الأداة الخاصة التي يقترحها والكيفية الخاصة التي يحددها.

الثالث: ما إذا قام به إنسان باسم الدين وكان أمراً حديثاً ليس له مثيل في السابق ولم يكن له أصل كلي يعضده ويسوغه ويضفي عليه الشرعية.

فهذه هي البدعة المصطلحة المحرمة على الإطلاق، فمن حاول تغيير الأذان والإقامة بتنقيص أو زيادة أو زاد في الصلاة أو نقص منها ونسب كلّ ذلك إلى الشرع فهو بدعة محرمة.

وبالجملة من أراد التدخل في الشريعة الإسلامية في عباداتها ومعاملاتها وسياساتها بأن ينسب إليها ما ليس منها أو لم يعلم انّه منها فقد أبدع وافترىٰ على الله الكذب.

الاحتفال بمواليد الأنبياء والأئمّة والصالحين

وممّا ذكرنا يعلم حكم الاحتفال بمواليد الأنبياء والأئمّة

والصالحين الذين لهج الكتاب والسنة بمدحهم، فانّ الاحتفال على النحو الرائج لم يرد في الشرع بخصوصه ولكن ورد الأصل الكلي الذي يسوّغ هذا الاحتفال ويضفي عليه الشرعية .

فقد أمر الكتاب والسنة بحب النبيﷺ ووده أوّلاً و تكريمه وتوقيره ثانياً، وحثّ عليهما في الشريعة قال سبحانه: ﴿**قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشيرَتُكُمْ وَأَموالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَونَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ في سَبيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَومَ الْفاسِقينَ**﴾ .(١)

١ .وقال رسول الله ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين.(٢)

٢. قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ الناس إليه من والده وولده.(٣)

٣. قال رسول الله ﷺ: ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان وطعمه: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممّا سواهما وأن يحب في الله، ويبغض في الله، وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحبّ إليه من أن يشرك بالله شيئاً.(٤)

---

١. التوبة:٢٤.

٢و٣و٤. جامع الأُصول: ١/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨ برقم ٢٠ و٢١ و٢٢.

وعلى ضوء ذلك فاقامة الاحتفالات والمهرجانات في مواليدهم والقاء الخطب والقصائد في مدحهم وذكر منزلتهم في الكتاب والسنة تجسيد للحبِّ الذي أمر الله ورسوله به، شريطة أن لا تقترن تلك الاحتفالات بالحرام، ومن دعا إلى الاحتفال بمولد النبيﷺ في أيّ قرن من القرون فقد انطلق من هذا المبدأ أي حبّ النبي ﷺ الذي أمر به القرآن والسنة .

هذا هو مؤلف «تاريخ الخميس» يقول في هذا الصدد: لا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويُظهرون السرور ويزيدون في المبرّات ويعتنون بقراءة مولده الشريف ويظهر عليهم من كراماته كلّ فضل عظيم.[١]

وقال القسطلاني: ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده ﷺ يعملون الولائم، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون المبرات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كلّ فضل عميم... فرحم الله امرءٍ اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً ليكون أشد علّة على من في قلبه مرض وأعياه داء.[٢]

١. تاريخ الخميس:١/ ٣٢٣ للديار بكري.
٢. المواهب اللدنية:١/ ٢٧.

٩

البكاء على الميت

الحزن والتأثر عند فقدان الأحبة أمر جُبلت عليه الفطرة الإنسانية فإذا ابتلي بمصاب عزيز من أعزّائه أو فلذة من أفلاذ كبده وأرحامه يحس بحزن شديد يتعقبه ذرف الدموع على وجناته، دون أن يستطيع أن يتمالك حزنه أو بكاءه.

ولا أجد أحداً ينكر هذه الحقيقة إنكار جدٍ وموضوعية ومن الواضح بمكان انّ الإسلام دين الفطرة يجاريها ولا يخالفها.

قال سبحانه: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنيفاً فِطْرَتَ اللهِ الّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها**﴾.[1]

ولا يمكن لتشريع عالميّ أن يحرم الحزن والبكاء على فقد الأحبة ويحرم عليه البكاء إذا لم يقترن بشيء يغضب الرب.

ومن حسن الحظ نرى انّ النبي ﷺ والصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان ساروا على وفق الفطرة.

وهذا رسول الله ﷺ يبكي على ولده إبراهيم، ويقول: «العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلاّ ما يرضي ربنا، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون».[2]

---

١. الروم:٣٠.

٢. سنن أبي داود:١/ ٥٨؛ سنن ابن ماجة:١/ ٤٨٢.

رویٰ أصحاب السِّيَر والتاريخ، أنّه لمّا احتضر إبراهيم ابن النبي، جاء ﷺ فوجده في حجر أُمّه، فأخذه ووضعهُ في حجره، وقال: «يا إبراهيم إنّا لن نغني عنك من الله شيئاً ـ ثمّ ذرفت عيناه وقال: ـ إنّا بك يا إبراهيم لمحزونون، تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الربّ، ولولا أنّه أمرٌ حقٌّ ووعدٌ صدقٌ وأنّها سبيل مأتيّة لحَزَنّا عليك حزناً شديداً أشدّ من هذا».

ولمّا قال له عبد الرحمان بن عوف: أو لم تكن نهيت عن البكاء؟ أجاب بقوله: «لا، ولكن نهيتُ عن صوتين أحمقين وآخرين، صوت عند مصيبة وخمش وجوه وشقّ جيوب ورنّة شيطان، وصوت عن نغمة لهو، وهذه رحمة، ومن لا يَرحم لا يُرحَم».(١)

وليس هذا أوّل وآخر بكاء منه ﷺ عند ابتلائه بمصاب أعزّائه، بل كان ﷺ بكي على ابنه «طاهر» ويقول: «إنّ العين تذرف وإنّ الدمع يغلب والقلب يحزن ولا نعصي الله عزّ وجلّ».(٢)

وقد قام العلاّمة الأميني في موسوعته الكبيرة «الغدير» بجمع موارد كثيرة بكیٰ فيها النبي ﷺ والصحابة والتابعون على موتاهم وأعزّائهم عند افتقادهم، وإليك نصّ ما جاء به ذلك المتتبع الخبير.

وهذا هو ﷺ لمّا أُصيب حمزة ـ رضي الله عنه ـ وجاءت صفيّة بنت

---

١. السيرة الحلبية: ٣/ ٣٤٨.

٢. مجمع الزوائد للهيثمي: ٣/ ٨.

عبـد المطلّب ــ رضي الله عنهـا ـ تطلبـه فحـال بينهـا و بينه الأنصـار، فقالﷺ: دعوها، فجلست عنده فجعلت إذا بكت بكىٰ رسول الله ﷺ و إذا نشجت نَشَـجَ، وكانت فـاطمةعليها السلام تبكـي، ورسـول الله ﷺ كلّما بكت يبكي، و قال: لن أُصاب بمثلك أبداً.(١)

ولمّا رجـع رسـول الله ﷺ مـن أُحـد بكت نسـاء الأنصـار على شهدائهن، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: لكـن حمزة لا بواكي له، فـرجع الأنصار فقـالوا لنسـائهم: لا تبكين أحـداً حتّى تبـدأن بحمزة، قـال: فذاك فيهم إلى اليوم لا يبكين ميّتاً إلاّ بدأن بحمزة.(٢)

وهذا هو ﷺ ينعي جعفراً ، وزيد بن حارثة، وعبد اللهبن رواحة، وعيناه تذرفان.(٣)

وهذا هو ﷺ زار قبر أُمّه وبكىٰ عليها وأبكى من حوله.(٤)

وهذا هو ﷺ يقبّل عثمان بـن مظعون وهو ميّـت ودموعـه تسيل على خدّه.(٥)

وهذا هوﷺ يبكـي على ابن لبعـض بناتـه، فقال لـه عبادة بـن

١. امتاع المقريزي: ص ١٥٤.

٢. مجمع الزوائد:٦/ ١٢٠.

٣. صحيـح البخـاري: كتـاب المناقـب في عـلامـات النبـوّة في الإسـلام؛ سنـن البيهقي:٤/ ٧٠.

٤. سنن البيهقي: ٤/ ٧٠؛ تاريخ الخطيب البغدادي: ٧/ ٢٨٩.

٥. سنن أبي داود:٢/ ٦٣؛ سنن ابن ماجة:١/ ٤٤٥.

الصامت: ما هذا يا رسول الله ﷺ؟ قال: الرحمة التي جعلها الله في بني آدم وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء.[١]

وهذه الصدّيقة الطاهرة تبكي على رسول الله ﷺ، وتقول: يا أبتاه من ربّه ما أدناه، يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه إلى جبرئيل ننعاه، يا أبتاه جنّة الفردوس مأواه.[٢]

وهذه هي ـ سلام الله عليها ـ وقفت على قبر أبيها الطاهر، وأخذت قبضة من تراب القبر فوضعتها على عينها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على مَن شمَّ تربة أحمد   أن لا يشمَّ مدى الزمان غواليا
صُبّت عليَّ مصائبُ لو أنّها   صُبّت على الأيّام صِرن لياليا

وهذا أبو بكر بن أبي قحافة يبكي على رسول الله ﷺ ويرثيه بقوله:

يا عين فابكي ولا تسأمي   وحُقَّ البكاء على السيّد

وهذا حسّان بن ثابت يبكيه ﷺ ويقول:

ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت
عيونٌ ومثلاها من الجفن أسعد

١. سنن أبي داود:٢/ ٥٨؛ سنن ابن ماجة:١/ ٤٨١.
٢. صحيح البخاري، باب مرض النبي ووفاته؛ مسند أبي داود: ٢/ ١٩٧؛ سنن النسائي: ٤/ ١٣؛ مستدرك الحاكم:٣/ ١٦٣؛ تاريخ الخطيب:٦/ ٢٦٢.

ويقول :

يُبكّون من تبكي السّماوات يومه

ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد

ويقول:

يا عين جودي بدمع منك إسبال

ولا تملنَّ من سحّ وإعوال

وهذه «أروى» بنت عبد المطّلب تبكي عليه ﷺ وترثيه بقولها:

ألا يا عين! ويحكِ أسعديني بدمعك ما بقيت وطاوعيني

ألا يا عين! ويحك واستهلّي على نور البلاد وأسعديني

وهذه عاتكة بنت عبد المطّلب ترثيه وتقول:

عينيَّ جودا طوال الدّهر وانهمِرا

سكباً وسحّاً بدمع غير تعذير

يا عين فاسحنفري بالدَّمع واحتفلي

حتّى المات بسجل غير منذور

يا عين فانهملي بالدّمع واجتهدي

للمصطفىٰ دون خلق الله بالنور

وهذه صفيّة بنت عبد المطّلب تبكي عليه وترثيه ﷺ وتقول:

أفـــاطـــمُ بكّـــي ولا تســـأمـــي
بصحبـــك مـــا طلـــع الكـــوكـــبُ
هـــو المرء يُبكـــىٰ وحـــقّ البكـــاء
هـــو الماجـــد السيّـــد الطيِّـــبُ

وتقول:

أعينـــيّ! جـــودا بـــدمـــع سجْـــم
يبـــادر غـــربـــاً بما مُنهـــدمْ
أعينـــيّ! فـــاسحنفـــرا و أسكبـــا
بـــوجـــدٍ وحـــزنٍ شـــديـــد الألمْ

وهذه هند بنت الحارث بن عبد المطّلب تبكي عليه وترثيه وتقول:

يـا عين جـودي بـدمـع منـك و ابتـدري
كما تنـــزّل مـــاء الغيـــث فـــانثعبـــا

وهذه هند بنت أثاثة ترثيه وتقول:

ألا يـــا عين! بكّـــي لا تملّي　　فقد بكـر النعيُّ بمن هـويتُ

وهذه عاتكة بنت زيد ترثيه وتقول:

وأمســـت مـــراكبـــه أوحشـــت
وقـــد كـــان يـــركبهـــا زينهـــا
وأمســـت تُبكّـــي على سيِّـــد
تـــردَّد عبرتها عينهـــا

وهذه أُمّ أيمن ترثيه ﷺ وتقول:

عين جـودي فـإنّ بـذلـك للـدمـــ
ــع شفـاء فـاكثـري مـن بكـاء
بـدمـوع غـزيـرة منـك حتّـىٰ
يقضي الله فيـك خير القضـاء

وهذه عمّـة جابر بن عبـد الله جاءت يوم أُحُد تبكـي على أخيها عبد الله بن عمر، وقال جابر: فجعلتُ أبكي وجعل القوم ينهوني ورسول الله ﷺ لا ينهاني، فقـال رسول الله ﷺ: أبكوه ولا تبكوه فـوالله ما زالت الملائكة تظلّله بأجنحتها حتى دفنتموه.(١)

نعـم روي عن عمـر بن الخطّـاب وعبد الله بـن عمر أنّ رسـول الله ﷺ قال: «إنّ الميّت يعذَّب ببكاء أهله».(٢)

أقول: إنّ ظـاهر هـذا الحديث يخالف فعـل الخليفة في مـواطن كثيرة أثبتها التاريخ.

منها: أنّـه بكىٰ على النعمان بن مقـرن المزني لمّا جاءه نعيـه فخرج ونعاه إلى الناس على المنبر ووضع يده على رأسه يبكي.(٣)

ومنها :بكاؤه على خالد بن الوليد عند ما مات وامتنعت النساء

---

١. الغدير:٦/ ١٦٤ـ١٦٧.

٢. صحيح مسلم:٣/ ٤١ ـ ٤٤، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه من كتاب الصلاة.

٣. العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي:٣/ ٢٣٥.

من البكــاء عليه، فلما انتهــىٰ ذلك إلى عمر، قــال: و ما علىٰ نســاء بني المغيرة أن يرقن من دمعهنّ على أبي سليمان ما لم يكن لغواً ولا لقلقة.(١)

ومنها: بكاؤه على أخيه زيد بن الخطّاب، وكان صحبه رجل من بني عدي بن كعب فرجع إلى المدينة فلمّا رآه عمر دمعت عيناه، وقال: وخلّفت زيداً قاضياً وأتيتني.(٢)

فالبكاء المتكرّر من الخليفة يهدينا إلى أنّ المراد من الحديث ـ لو صحّ سنده ـ معنى آخر ، كيف وأنّ ظاهر الحديث لو قلنا به فإنّه يخالف الذكر الحكيم، أعني قوله سبحانه: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾.(٣) فأيّ معنى لتعذيب الميّت ببكاء غيره عليه!!

فقه الحديث

كلّ هذه النقول توقفنا على أنّ المراد من الحديث «إنّ الميّت يعذّب ...» ـ إن صحّ سنده ـ غير ما يفهم من ظاهره، وقد كان محتفّاً بقرائن سقطت عند النقل، ولأجل ذلك توهّم البعض حرمة البكاء على الميّت استناداً إلى هذا الحديث، غافلاً عن مرمى الحديث ومغزاه.

---

١. العقد الفريد:٣/ ٢٣٥.

٢. المصدر نفسه.

٣.فاطر:١٨.

أخرج مسلم في صحيحه، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: ذُكر عند عائشة قول ابن عمر: الميت يعذب ببكاء أهله عليه، فقالت: رحم الله أبا عبد الرحمن، سمع شيئاً فلم يحفظه إنّما مرّت علىٰ رسول الله ﷺ جنازة يهودي، وهم يبكون عليه، فقال: أنتم تبكون وانّه ليعذب.[١]

وأخرج أبو داود في سننه عن عروة عن عبد اللهبن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الميّت ليعذَّب ببكاء أهله عليه، فذكر ذلك لعائشة فقالت ـ وهي تعني ابن عمر ـ: إنّما مرّ النبي ﷺ على قبر يهودي فقال: إنّ صاحب هذا ليُعذَّب وأهله يبكون عليه. ثمّ قرأت ﴿**وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ**﴾.[٢]

قال الشافعي: ما روت عائشة عن رسول الله ﷺ أشبه أن يكون محفوظاً عنه ﷺ بدلالة الكتاب والسنّة، فإن قيل: فأين دلالة الكتاب؟ قيل: في قوله عزّوجلّ: ﴿**وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ ...**﴾ و﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإنْسانِ إلّا ما سَعىٰ**﴾[٣] وقوله: ﴿**فَمَنْ يعْمَل مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيراً يرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾[٤] وقوله: ﴿**... لِتُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِما**

١. صحيح مسلم:٣/ ٤٤، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه من كتاب الصلاة.
٢. سنن أبي داود:٣/ ١٩٤، برقم ٣١٢٩.
٣. النجم:٣٩.
٤. الزلزلة:٧ـ٨.

تَسْعىٰ﴾[1] فإن قيل: أين دلالة السنّـة؟ قيل: قال رسول الله ﷺ لرجل: ابنك هـذا؟ قال: نعـم، قال: أمـا أنّه لا يجني عليك ولا تجنـي عليه. فـأعلم رسـول الله مثلما أعلـم الله من أنّ جنـايـة كـلّ امرئ عليـه، كما أنّ عمله لا لغيره ولا عليه».[2]

وأخـرج مسلم عـن ابن عبـاس:قال رسـول الله ﷺ: انّ الميـت يعذّب ببكاء أهله عليه، فقال ابـن عباس: فلمّا مات عمر ذكرت ذلك لعائشة، فقالت: يرحـم الله عمر، لا والله ما حدّث رسول الله ﷺ انّ الله يعذّب المؤمن ببكاء أحـد ولكن قال: انّ الله يزيد الكافـر عذاباً ببكاء أهله عليه، قال: وقالـت عائشة: حسبكم القرآن : ﴿وَلَا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ﴾ .[3]

وما أخرجـه مسلم عن هشام بـن عروة هو الحقّ دون ما أخـرجه عن ابن عباس لأنّ تعذيب الكافر ببكـاء أهله عليه أيضاً يضاد الذكر الحكيم.

---

١. طه.:١٥.

٢. اختلاف الحديث بهامش كتاب الأُمّ للشافعي:٧/ ٢٦٧.

٣.صحيح مسلم:٣/ ٤٣، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه من كتاب الصلاة.

١٠

الحلف على الله بحقّ الأولياء

إنّ القرآن الكريم يصف بعضَ عبادِ الله، بقوله:

﴿الصّابِرينَ وَالصّادِقينَ وَالقانِتينَ وَالمُنْفِقينَ وَالمُسْتَغْفِرينَ بِالأَسْحار﴾.(١)

فلو أنّ أحداً قام في آناء الليل وصلّىٰ ناشئته ثمّ ابتهل إلى الله متضرعاً، و قال: «**اللّهمّ إنّي أسألُكَ بِحقِّ الْمُستَغْفِرينَ بالأسحار اغفر لي ذنبي**» فهل يجوز ذلك أو لا؟

يمكن استكشاف الحكم من الأحاديث المروية عن النبي ﷺ والأئمّة الأطهار.

١ . قد أخرج الترمذي وابن ماجة والإمام أحمد عن عثمان بن حنيف: انّ رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ وقال: أُدعو الله أن يعافيني، ثمّ نقَلوا أنّ النبي ﷺ أمره أن يتوضّأ ويُحسن وضوءه ويصلّي ركعتين ويدعوا بهذا الدعاء: «اللّهمّ إنيّ أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبيّ الرحمة، يا محمّد

١ . آل عمران:١٧ .

إنّي أتوجه بك إلى ربّي في حاجتي لتُقضىٰ اللّهمّ شفّعه في».[١]

٢. وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ الدعاء التالي: «اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ السائلين عليك وأسألك بحقّ ممشاي هذا».[٢]

٣. أخرج البيهقي عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: لما اقترف آدم الخطيئة رفع رأسه إلى السماء فقال: أسألك بحقّ محمّد الا غفرت لي.[٣]

٤. أخرج الحاكم في مستدركه، و الطبراني في معجمه الأوسط، وأبو نعيم في حلية الأولياء، عن أنس بن مالك، انّه لما ماتت فاطمة بنت أسد، حفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد، حفره رسول الله بيده ، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ، دخل رسول الله فاضطجع فيه، وقال: الله الذي يحيي و يميت،وهو حيّ لا يموت، اغفر لأُمّي فاطمة بنت أسد، ولقّنها حجّتها ووسّع عليها مَدْخَلها بحقّ نبيّك والأنبياء الذين من قبلي فانّك أرحم الرحمين.[٤]

---

١. صحيح الترمذي٥، كتاب الدعوات، الباب ١١٩ برقم ٣٥٧٨ ؛سنن ابن ماجه:١/ ٤٤١ برقم ١٣٨٥؛ مسند أحمد:٤/ ١٣٨، إلى غير ذلك من المصادر، وقد مرّ في مبحث التوسل.

٢. سنن ابن ماجة: ١/ ٢٥٦ برقم ٧٧٨، باب المساجد؛ مسند أحمد:٣/ ٢١.

٣. البيهقي: دلائل النبوة: ٥/ ٤٨٩.

٤. الحاكم : المستدرك: ٣/ ١٠٨؛ الطبراني، المعجم الأوسط: ٣٥٦؛ حلية الأولياء: ٣/ ١٢١.

إنّ هـذه الأدعيـة وإن خلـت مـن لفـظ القسـم بعينـه إلاّ انّها تضمنت معنـى القسم لوجود بـاء القسم فيها فكأنّما يقـول: اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ السائلين عليك أي أُقسمك بحقّهم.

وقـد ورد الحلف على الله بحـقّ الأولياء في غير واحـد من أدعيـة أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين هم أعدال الكتاب وقرناؤه بنصّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي».[1] يقول الإمام الطاهر علي بن الحسين عليهما السلام في دعاء يوم عرفة و هو يناجي ربّه: «بحقّ من انتخبت مـن خلقك، و بِمَن اصطفَيته لنفسـك، بِحقٍّ من اخترتَ من بريّتك، ومن اجتبيتَ لشأنك، بحـقٍّ من وصلتَ طاعتَه بطاعتك، وبحقّ من نيَّطت معاداته بمعاداتك.[2]

لما زار الإمام الصادق عليه السلام مرقد جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام دعا في ختام الزيارة بقوله: اللّهمّ استجب دعائي، واقبل ثنائي، وأجمع بيني وبين أوليائي، بحقِّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين».[3]

وهذه الأدعية عن أئمّـة أهل البيت عليهم السلام تدلّ على جواز الحلف على الله بحقّ أوليائه الصالحين.

---

١. حديث متواتر عن كلا الفريقين.

٢. ابن طاووس: الاقبال: ٣٠٩.

٣. الطوسي: مصباح المتهجد: ٦٨٢.

سؤال و إجابة

ربما يقال: انّ المسألة بحقّ المخلوقين غير جائز لأنّه لا حقّ للمخلوق على الخالق.

والجواب أوّلاً: انّ هذا اجتهاد في مقابل النص الصريح، إذ لو لم يكن للمخلوق حقّ في ذمة الخالق، فلماذا أقسم النبي آدم عليه السلام والنبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم على الله بالحقوق، الواردة في الروايات؟

وثانياً: انّه سبحانه يُثبت لعباد الله الصالحين حقوقاً في ذمته، ويقول: ﴿**وَكانَ حَقّاً عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنينَ**﴾ [١]، ﴿**وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً في التَّوارةِ وَالإِنْجيل**﴾[٢]، ﴿**كَذلِكَ حَقّاً عَلَيْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنينَ**﴾ :[٣]، ﴿**إِنّما التَّوبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَة**﴾ .[٤]

وثمة مجموعة من الروايات تشير إلى وجود الحقّ للمخلوق في ذمة الخالق، وإليك نماذج منها:

١ . «حقّ على الله عون من نكح التماس العفاف ممّا حرم الله».[٥]

٢ . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة حقّ على الله عونهم: الغازي في

---

١ . الروم:٤٧ .

٢ . التوبة:١١١ .

٣ . يونس:١٠٣ .

٤ . النساء:١٧ .

٥ . الجامع الصغير للسيوطي:٢/ ٣٣.

سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريدالتعفف».[١]

٣. «أتدري ما حقّ العباد على الله».[٢]

نعم من الواضح انّه ليس لأحد بذاته حق على الله تعالى، حتى لو عبد الله قروناً طويلة، لأنّ كلّ ما للعبد من حول و قوة، ونعمة فهو لله تعالى فلم يُبذل العبد شيئاً من نفسه في سبيل اللهحتى يستحق بذاته الثواب.

فإذاً فما معنى الحقّ؟

والجواب: انّ المقصود من الحقّ في هذه الأدعية أو الأحاديث هو المنزلة التي يمنحها الله لعباده مقابل طاعتهم وانقيادهم ، لكن بتفضّل وعناية منه، لا بإستحقاق من العبد، فالحقّ الذي يُقسَم به على الله حق، جعله الله على ذمته لا انّ العبد استحق حقاً على الله، ونظير هذا استقراضه سبحانه من عبده، يقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾.[٣]

إنّ هذا التعبير نابع من لطفه سبحانه وعنايته الفائقة بعباده الصالحين حتى يعتبر ذاته المقدسة مديوناً لعباده، وعبادَه دُيّاناً أصحاب الحق، ففي هذا الأمر من الترغيب والتشجيع إلى طاعة الله ما لا يخفى.

---

١. سنن ابن ماجة:٢/ ٨٤١.

٢. النهاية لابن الأثير: مادة حق.

٣. البقرة:٢٤٥.

١١

الحلف بغير الله

هل يجوز الحلف بغير الله سبحانه كالحلف بالنبي ﷺ و القرآن والكعبة وغيرها من المقدسات أو لا ؟

عندما نستنطق القرآن في ذلك، نرى انّه سبحانه حلف في سورة الشمس وحدها بثمانية أشياء من مخلوقاته هي: الشمس، ضحاها، القمر، النهار، الليل، السماء، الأرض، والنفس الإنسانية.[١]

وكذلك ورد الحلف بغير الله في سورة النازعات والمرسلات والطارق والقلم والعصر والبلد وإليك نماذج من الحلف بالمخلوق في غير تلك السور.

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهٰذا البَلَدِ الأَمين﴾.[٢]

﴿وَاللَّيلِ إِذا يَغْشىٰ *وَالنَّهارِ إِذا تَجَلّىٰ﴾.[٣]

﴿وَالْفَجْرِ * وَليالٍ عَشْرٍ *والشَّفعِ وَالوَتْر*واللَّيلِ إِذا يَسْر﴾.[٤]

---

١. الشمس:١ـ٧.

٢. التين:١ـ٣.

٣. الليل:١ـ٢.

٤. الفجر:١ـ٤.

﴿وَالطُّورِ *وَكِتابٍ مَسْطُورٍ* في رَقٍّ مَنْشُورٍ* وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ* وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ* وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾.(١)

﴿لَعَمْرُكَ إنّهم لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ .(٢)

فلو كان الحلف بغير الله شركاً وأمراً قبيحاً، فكيف يصدر منه سبحانه وقد وصف الشرك بالفحشاء، وقال: ﴿وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَاللهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالفَحْشاءِ أَتَقُولُونَ عَلى اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ .(٣)

والقبيح قبيح مطلقاً دون فرق بين ارتكابه من قِبل الخالق أو المخلوق، وهذا يُعرب عن أنّ الحلف بغير الله سبحانه إذا كان لغاية عقلائية أمر لا محذور فيه.

ثمّ إنّ الغاية ـ غالباً ـ من حلفه سبحانه بالأُمور الكونية هي الإشارة إلى الأسرار المكنونة فيها ودعوة الناس إلى الامعان فيها وكشف رموزها، ولكن الغاية في حلف الإنسان بالذوات القدسية ـ وراء الاشارة إلى قدسيّتهم ـ هي امّا الترغيب أو الترهيب أو كسب ثقة المقابل.

وإذا عطفنا النظر إلى السنة النبوية نجد انّ رسول الله ﷺ يحلف

١. الطور:١ـ٦.

٢. الحجر:٧٢.

٣. الأعراف:٢٨.

بغير الله سبحانه.

أخرج مسلم في صحيحه: عن أبي هريرة، قال:

«جاء رجل إلى النبيﷺ فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: أما ـ وأبيك ـ لتنبّأنّه أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء».[1]

وأخرج أيضاً عن طلحة بن عبيد الله، قال:«جاء رجل إلى رسول الله ـ من نجد ـ يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: خمس صلوات في اليوم والليل.

فقال: هل عليَّ غيرهن؟

قال: لا... الا أن تطوع،وصيام شهر رمضان.

فقال: هل عليَّ غيرها؟

قال: لا... الا ان تطوع، وذكر له رسول الله الزكاة.

فقال الرجل: هل عليّ غيره؟

قال: لا...الا أن تطوع.

فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه.

فقال رسول الله : أفلح ـ و أبيه ـ[2] إن صدق.

١. صحيح مسلم: ٣/ ٩٤، باب أفضل الصدقة من كتاب الزكاة.
٢. أي: قسماً بأبيه، و «الواو» للقسم.

أو قال: دخل الجنة ـ وأبيه ـ إن صدق.[١]

وثمةأحاديث أُخرى طوينا الكلام عن ذكرها مخافة الاطالة.

سؤال وجواب

أخرج النسائي في سننه، عن ابن عمر: انّ رسول الله ﷺ قال: من حلف بغير الله فقد أشرك.[٢]

ومعه كيف يجوز الحلف بغير الله سبحانه؟

والجواب: انّ رسول الله ﷺ يشير في قوله هذا إلى نوع خاص من الحلف الرائج في ذلك العصر وهو الحلف بـالأصنام كاللات والعزّى، ويدل على ذلـك ما أخـرجه النسائي أيضـاً في سننه عـن النبي ﷺ أنّه قال: «مـن حلف، فقـال في حلفه بـاللات والعـزّى، فليقل لا إلـه إلاّ الله».[٣]

وأخرج أيضاً عن النبي ﷺ قال: لا تحلفوا بآبائكم ولا بأُمّهاتكم ولا بالأنداد.[٤]

إنّ الحديـث الأوّل يكشف عـن انّ رواسب الجاهليـة ما زالـت عالقة في بعض النفـوس، فكانوا يحلفون بأصنامهم، فـأمرهم النبي ﷺ أن يقـولـوا بعـد الحلـف «لاإلـه إلاّ الله»، لأجـل القضـاء على تلك الخلفيات.

١. صحيح مسلم: ١/ ٣٢، باب «الإسلام ما هو و بيان خصاله» من كتاب الإيمان.

٢ و ٣ و ٤. سنن النسائي:٧/ ٨.

كما انّ الحديث الثاني يشير إلى انّ وجه المنع عن الحلف بالآباء والأُمّهات لشركهم ويؤيد ذلك اقترانها بقوله ولا بالانداد، والمرادمنها هي الأصنام والأوثان.

ويظهر من كثير من الفقهاء جواز الحلف بغير الله غير انّهم اختلفوا في وجوب الكفارة عند الحنث، وهذا يعرب عن تصافقهم على جواز الحلف وإنّما الاختلاف في انعقاده وكفارته،وإليك بعض النصوص:

قال ابن قدامة: الحلف بالقرآن أوبآية منه أو بكلام الله يمين منعقدة تجب الكفارة بالحنث فيها، وبهذا قال ابن مسعود، والحسن وقتادة ومالك والشافعي وأبو عبيد وعامة أهل البيت.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: ليس بيمين ولا تجب به كفارة.[1]

وقال ابن قدامة في موضع آخر: ولا تنعقد اليمين بالحلف بمخلوق والأنبياء وسائر المخلوقات ولا تجب الكفارة بالحنث فيها، وهذا ظاهر كلام الخرقي وهو قول أكثر الفقهاء، وقال أصحابنا : الحلف برسول الله يمين موجبة للكفارة.[2]

نعم اتّفق الفقهاء على أنّه لا تفُضَّ الخصومات عند القاضي إلاّ بالحلف بالله.

---

١. المغني: ١١/ ١٩٣، كتاب اليمين.

٢. المصدر نفسه: ١١/ ٢٠٩.

١٢

تسمية المواليد بإضافة العبد

إلى غير الله سبحانه

لقد تعارف لدى المسلمين تسمية أولادهم بعبد الرسول وعبد الحسين وما ضاهاهما ويجمع الكلّ اضافته إلى أسماء الرسول وأئمّة الإسلام.

وربما وقع ذلك ذريعة للسؤال عن جوازه، فنقول:

تطلق العبودية ويراد منها أحد المعاني التالية:

١. العبودية هي التي تقابل الأُلوهية، وهي بهذا المعنى ناشئة من المملوكية التكوينية التي تعمّ جميع العباد، ومنشأ المملوكية كونه سبحانه خالقاً، والإنسان مخلوقاً.

وعلى ضوء ذلك فالعبودية إذا كانت رمزاً للمملوكية الناشئة من الخالقية، فهي لا تضاف إلاّ إلى الله سبحانه كما يقول سبحانه: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ إِلاّ آتِى الرَّحْمنِ عَبْداً﴾.[1]

---

١. مريم:٩٣.

وقال سبحانه حاكياً عن المسيح: ﴿إنّي عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الكِتابَ وَجَعَلَني نَبِيّاً﴾.(١)

٢. العبودية الوضعية الناشئة من غلبة إنسان على إنسان في الحروب وقد أمضاها الشارع تحت ظل شرائط معينة مذكورة في الفقه.

فأمر الاسارى ـ الذين يقعون في الأسر بيد المسلمين ـ موكول إلى الحاكم الشرعي فهو مخيّر بين إطلاق سراحهم بلا عوض أو بأخذ مال منهم أو استرقاقهم.

فإذا اختار الثالث فيكون الأسير عبداً للمسلم، ولذلك ترى انّ الفقهاء عقدوا باباً باسم «العبيد والاماء».

قال سبحانه: ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيامىٰ مِنْكُمْ وَالصّالِحينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَإِمائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ الله مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ واسِعٌ عَليمٌ﴾.(٢)

تجد انّه سبحانه ينسب العبودية والإمائية إلى الذي يتملكونهم ويقول «عبادكم وإمائكم» فيضيف العبد إلى غير اسمه جلّ ذكره.

٣. العبودية بمعنى الطاعة وبها فسرها أصحاب المعاجم.(٣)

وهذا هو المقصود من تلك الاسماء فيسمون أولادهم باسم عبد الرسول أي مطيع الرسول وعبد الحسين أي مطيعه وكلّ مسلم مطيع

---

١. مريم:٣٠.

٢. النور:٣٢.

٣. لسان العرب: مادة عبد، وكذلك القاموس المحيط في نفس المادة.

للرسول والأئمّة من بعده ولا شكّ انّه يجب إطاعة النبيﷺ و أولي الأمر .

قال سبحانه: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾.[1]

فعرف القرآن النبي مطاعاً والمسلمين مطيعين، ولا عتب على الإنسان أن يظهر هذا المعنى في تسمية أولاده وأفلاذ كبده .

نعم المسمى بعبد الرسول هو عبد للرسول و في الوقت نفسه عبد لله أيضاً و لا منافاة بين النسبتين لما عرفت من انّ العبودية في الصورة الأُولى هي العبودية التكوينية النابعة من الخالقية ولكنّها في الصورة الثانية ناجمة عن تشريعه سبحانه حيث جعل النبي ﷺ مطاعاً وأمر الناس باطاعته وشتان ما بينهما.

والحمد لله ربّ العالمين

جعفر السبحاني

قم ـ الجامعة الإسلامية

---

١. النساء:٥٩.

فهرس المصادر

١. **القرآن الكريم.**

٢. **احياء علوم الدين:** أبو حامد محمّد بن محمّد الغزالي(المتوفّى ٥٠٥هـ) طبع دار القلم، بيروت، الطبعة الثالثة، صحّح باشراف الشيخ عبد العزيز السيروان.

٣. **أخبار مدينة الرسول:** طبع مكّة المكرّمة ١٣٦٦، اهتمّ بنشره صالح محمد جمال.

٤. **اختلاف الحديث بهامش كتاب الأُمّ** : الشافعي: محمد بن إدريس(١٥٠ـ٢٠٤هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٨هـ.

٥. **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري:** أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني(٨٥١ـ ٩٢٣هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦. **الاقبال:** ابن طاووس: علي بن موسى الحلّي (المتوفّى ٦٤٤هـ) طبع تبريز.

٧. **الأُمّ:** الشافعي، محمّد بن إدريس(١٥٠ـ ٢٠٤هـ) طبع دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٨هـ.

المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٨هـ.

٨. امتاع الأسماع: أحمد بن علي المقريزي (المتوفّى ٨٤٥هـ) دار الأنصار، القاهرة ـ ١٤٠١هـ.

٩. أنساب الأشراف: البلاذري: أحمد بن يحيىٰ (المتوفّى٢٧٩هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٣٩٤هـ.

١٠. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (المتوفّى ١١١٠هـ) مؤسسة الوفاء، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

١١. بلوغ الإرب: السيد محمود شكري الآلوسي (المتوفّى ١٢٧٠هـ) دار الكتاب العربي، مصر.

١٢. تاريخ ابن عساكر (تاريخ مدينةدمشق): علي بن الحسن بن هبة الله (٥٠٠ـ ٥٧٣هـ) دار التعارف، بيروت ـ ١٣٩٥هـ.

١٣. تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (المتوفّىٰ ٤٦٣هـ) المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

١٤. تاريخ الخميس: الديار بكري، الشيخ حسين بن محمد، مؤسسة شعبان، بيروت.

١٥. تبرك الصحابة: محمد طاهر المكي (كان حياً عام ١٣٩٥هـ)

١٦. تذكرة الفقهاء: العلّامة الحلّي (٦٤٨ ـ ٧٢٦) طبع المكتبة المرتضويّة لإحياء الآثار الجعفرية ، إيران.

١٧. تفسير الدر المنثور: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ)

دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

١٨. **تفسير الطبري(جامع البيان)**: محمد بن جرير الطبري (المتوفّى٣١٠هـ) دار المعرفة، بيروت.

١٩. **تفسير القرطبي (جامع أحكام القرآن)**: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (المتوفّى ٦٧١هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠٥هـ.

٢٠. **جامع الأُصول**: ابن الأثير الجزري: المبارك بن محمّد (٥٤٤ـ ٦٠٦هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

٢١. **الجامع الصغير**: جلال الدين عبد الرحمان السيوطي (٨٤٩ـ٩١١هـ) دار الفكر، بيروت.

٢٢. **حلية الأولياء**: أبو نعيم : أحمد بن عبد الله الاصبهاني (المتوفّى٤٣٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٣٨٧هـ.

٢٣. **الخصائص الكبرى**: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمان (٨٤٩ـ٩١١هـ).

٢٤. **الخلاف**: الشيخ الطوسي: محمد بن الحسن (٣٨٥ـ ٤٦٠هـ) دارالنشر الإسلامي، قم المقدسة.

٢٥. **دلائل النبوة**: البيهقي: أحمد بن الحسين (٣٨٤ـ ٤٥٨هـ) دارالكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٥هـ.

٢٦. **رحلة ابن جبير**: أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي،

طبع دار صادر، بيروت ـ ١٣٨٤ هـ.

٢٧. **سفينة البحار**: الشيخ عباس القمي (١٢٩٤ـ ١٣٥٩هـ) طبعة النجف الأشرف.

٢٨. **السنن** : ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ ـ ٢٧٥هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٣٩٥ هـ.

٢٩. **سنن أبي داود**: سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ـ ٢٧٥هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٠. **سنن الترمذي**: محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ـ ٢٧٩هـ) دارإحياء التراث العربي، بيروت.

٣١. **السنن الكبرى**: البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (٣٨٤ ـ ٤٥٨هـ) دار الفكر، بيروت.

٣٢. **سنن النسائي**: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (٢١٥ـ ٣٠٣هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٣. **السيرة الحلبية**: برهان الدين علي بن إبراهيم الحلبي (المتوفى١٠٤٤هـ) المكتبة الإسلامية، بيروت.

٣٤. **السيرة النبوية**: ابن هشام: عبد الملك بن أيوب الحميري (المتوفّى٢١٣ أو ٢١٨ هـ) دار احياء التراث العربي، بيروت.

٣٥. **شرح المقاصد**: سعد الدين التفتازاني (٧١٢ـ ٧٩٣هـ) طبع آستانه.

٣٦. **شفاء السقام**: تقي الدين السبكي (٦٨٣ـ ٧٥٦هـ) الطبعة الرابعة ـ ١٤١٩هـ.

٣٧. **الصارم المنكي**: للشيخ عبد الهادي، طبع مصر.

٣٨. **الصحيح**: البخاري: محمد بن إسماعيل (١٩٤ـ ٢٥٦هـ) مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر ـ ١٣١٤هـ.

٣٩. **الصحيح** : مسلم بن الحجاج القشيري (المتوفّى ٢٦١هـ) مؤسسة عزّ الدّين، بيروت ـ ١٤٠٧هـ.

٤٠. **صلح الاخوان**: للخالدي.

٤١. **العقد الفريد**: ابن عبد ربّه الأندلسي (٢٤٦ـ ٣٢٧ هـ) دارالكتاب العربي، بيروت ـ ١٤٠٦هـ.

٤٢. **الغدير**: العلاّمة عبد الحسين أحمد الأميني (١٣٢٠ ـ ١٣٩٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٣٨٧هـ.

٤٣. **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(٧٧٣ـ ٨٥٢هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٤. **فتوح الشام**: محمد بن عمر الواقدي، دار الجيل، بيروت.

٤٥. **فرقان القرآن**: سلامة القضاعي الشافعي، مطبعة السعادة، مصر.

٤٦. **الفِصَل في الملل والأهواء والنحل**: ابن حزم الأندلسي(المتوفّى ٤٥٦هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٣٩٥هـ.

٤٧. **الفقه على المذاهب الأربعة**: عبد الرحمان الجزيري، دار

إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٨. القاموس المحيط: الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب(٧٢٩ـ٨١٦هـ) القاهرة ـ ١٣٣٣هـ.

٤٩. كشف الارتياب: السيد محسن الأمين العاملي (١٣٧٣هـ) الطبعة الأُولى ، دمشق.

٥٠. كنز العمال: المتقي الهندي (المتوفّى ٩٧٥هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت ـ ١٤٠٥هـ.

٥١. لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم (٦٣٠ ـ ٧١١هـ) قم المقدسة ـ ١٤٠٥هـ.

٥٢. مجلة رسالة الإسلام : تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، القاهرة، مصر.

٥٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي: علي بن الحسين (المتوفّى ٣٤٥هـ) منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ـ ١٩٦٥م.

٥٤. المستدرك: الحاكم النيسابوري: محمد بن عبد الله (المتوفّى ٤٠٥هـ) دار المعرفة، بيروت.

٥٥. المسند: أحمد بن حنبل(المتوفّى ٢٤١هـ) دار الفكر ، بيروت.

٥٦. مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي: محمد بن الحسن (٣٨٥ـ٤٦٠هـ).

٥٧. معجم الزوائد: الهيثمي: علي بن أبي بكر(٧٣٥ـ ٨٠٧هـ)

دارالكتاب العربي، بيروت ـ ١٤٠٢هـ.

٥٨. المعجم الكبير والأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ـ٣٦٠هـ) دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، بيروت.

٥٩. المغني: عبد الله بن قدامة(٥٤١ـ ٦٢٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

٦٠. المفردات: الراغب الاصفهاني: الحسين بن محمد (المتوفّى ٥٠٢هـ) مطبعة الميمنية، القاهرة ـ ١٣٢٤هـ.

٦١. الملل و النحل: الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (٤٧٩ـ٥٤٨هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٢هـ.

٦٢. المواقف: القاضي عبد الرحمان الإيجي (المتوفّى ٧٥٦هـ) مطبعة السعادة، مصر ـ ١٣٢٥هـ.

٦٣. المواهب اللدنية: أحمد بن محمد القسطلاني (٨٥١ ـ ٩٢٣هـ) المكتب الإسلامي ، بيروت ـ ١٤١٢هـ.

٦٤. نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي (٣٥٩ ـ ٤٠٤هـ) بيروت ـ ١٣٨٧هـ.

٦٥. وفاء الوفاء: علي بن أحمد السمهودي (المتوفّى ٩١١هـ) دار احياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠١هـ.

٦٦. اليواقيت والجواهر: عبد الوهاب الشعراني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر ـ ١٣٧٨هـ.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
كلمة المؤلف	٥
كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة	٧
اهتمام النبي ﷺ بوحدة المسلمين	٨
الفصل الأوّل	
في تحديد الإيمان والكفر	
الإيمان رهن الاعتقاد بأُصول ثلاثة	١٤
ما أُثر عن النبي ﷺ حول دعائم الإسلام والإيمان	١٤
كلمات الأعلام حول حظر تكفير المسلم	١٧
السنّة النبوية وتكفير المسلم	١٨
مسائل كلامية لا تمُتّ إلى العقيدة الإسلامية بصلة	٢١
الفصل الثاني	
التوحيد ومراتبه وأقسامه	
الأوّل: التوحيد في الذات	٢٣
الثاني: التوحيد في الخالقية	٢٤

الموضوع	الصفحة
الثالث: التوحيد في الربوبية	٢٥
الرابع: التوحيد في التشريع والتقنين	٢٨
الخامس: التوحيد في الطاعة	٢٩
السادس: التوحيد في الحاكمية	٣٠
السابع: التوحيد في العبادة	٣١
الفصل الثالث	
حقيقة العبادة ومقوّماتها	
العبادة في المقام	٣٣
ركنا العبادة: العمليّ و القلبيّ	٣٥
مقارنة بين الموحد والمشرك في الخضوع	٣٦
سؤال و إجابة	٤٤
الفصل الرابع	
تعريف العبادة	
التعريف الأوّل: الخضوع النابع عن اعتقاد بأُلوهية المخضوع له	٤٧
التعريف الثاني: الخضوع النابع عن اعتقاد بربوبية المخضوع له	٤٨
التعريف الثالث: الخضوع النابع عن اعتقاد بتفويض الأُمور للمخضوع له	٤٩
الخضوع النابع عن غير هذه الثلاثة ليس عبادة	٥٠

الموضوع	الصفحة
الفصل الخامس	
تطبيقات على ضوء تعريف العبادة	
١ . زيارة القبور	٥٥
الآثارا لبّناءة لزيارة القبور	٥٦
زيارة قبر النبي ﷺ والروايات الواردة فيها	٥٧
٢ . شدّ الرحال إلى زيارة قبر النبي ﷺ	٦١
سيرة المسلمين على شدّ الرحال إلى زيارة النبي ﷺ	٦٢
سفر بلال لزيارة النبي ﷺ	٦٣
بعث عمر بن عبد العزيز بريداً من الشام إلى المدينة للزيارة	٦٤
سؤال و إجابة	٦٦
تفسير حديث «لا تُشدُّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة»	٦٧
٣ . البناءعلى القبور	٦٩
مواراة المسلمين جسد النبي ﷺ تحت السقف	٦٩
القباب المشيدة على البقيع في العصور الأُولى	٧٠
أُرجوزة السيد الامين العاملي	٧٣
البناء على القبور من منظار آخر	٧٤
البناء على القبور من مظاهر الحب	٧٥
مظاهر الحب المختلفة	٧٦
المضاعفات الخطيرة لهدم الآثار الإسلامية	٧٧
تفسير حديث أبي هياج و انّ المراد هو النهي عن التسنيم	٧٨

الصفحة	الموضوع
٨١	**٤. بناء المساجد على القبور والصلاة فيها**
٨٢	أصحاب الكهف واقتراح المسلمين بناء المسجد على قبورهم
٨٣	سيرة المسلمين في البناء على قبور الصالحين
٨٥	صلاة النبي ﷺ في بيت لحم
٨٦	تفسير اتخاذ اليهود قبور أنبيائهم مساجد
٨٩	نقل كلام القرطبي والبيضاوي حول الحديث
٩١	**٥. التوسل بالأنبياء والصالحين**
٩٢	انقسام الأسباب إلى مادّية وغيبية
٩٣	أقسام التوسل الخمسة
٩٣	أ. التوسل بدعاء النبي والصالحين في حياتهم
٩٤	ب. التوسل بذات النبي ﷺ وقدسيّته
٩٥	الاستدلال بحديث الضرير على جواز الأمرين
٩٩	استسقاء عبد المطلب و أبي طالب بالنبي ﷺ
١٠١	استحباب اخراج الصبيان والنساء الطاعنات في السن في الاستسقاء
١٠٢	التوسل بعمّ النبي
١٠٢	ج. التوسل بحقّ النبي والأنبياء والصالحين
١٠٣	الاستدلال بحديث أبي سعيد الخدري على هذا النوع من التوسل
١٠٥	د. التوسل بدعاء النبي ﷺ والصالحين بعد رحيلهم
١٠٦	الاستدلال بالآيات القرآنية على خلود الأرواح

الموضوع	الصفحة
دلالة الآيات على وجود الصلة بين الحياتين : الدنيوية والأُخروية	١١١
دلالة السنّة الشريفة على الصلة بين الحياتين	١١٣
النبي ﷺ ينادى قتلىٰ قريش يوم بدر	١١٤
سؤال و إجابة	١١٥
هـ. طلب الشفاعة	١١٧
الاستدلال على جواز طلب الشفاعة بالسنّة	١١٨
٦. انتفاع الموتىٰ بأعمال الأحياء	١٢٠
انتفاع الإنسان بعمله وعمل غيره	١٢٠
استغفار الملائكة للمؤمنين	١٢٢
دلالة السنّة على انتفاع الموتى بأعمال الاحياء	١٢٣
جواز النذر لأهل القبور	١٢٥
السنّة وجواز النذر للموتىٰ	١٢٦
الغاية من النذر التقرب إلى الله و إهداء الثواب إلى أرواح الموتىٰ	١٢٧
٧. التبرك بآثار الأنبياء والصالحين	١٢٩
تبرك يعقوب بقميص يوسف	١٣٠
تبرك الصحابة بفضل وضوء النبيﷺ وغسله وسؤر شرابه	١٣١
٨. البدعة والاحتفال بميلاد النبيﷺ	١٣٣
البدعة لغة غير البدعة شرعاً	١٣٣
البدعة هي إدخال ما ليس من الدين في الدين	١٣٤
الاحتفال بمواليد الأنبياء والأئمّة والصالحين، له أصل في الشريعة	١٣٧

الموضوع	الصفحة
سيرة المسلمين والاحتفال بميلاد النبي ﷺ	١٣٩
٩. البكاء على الميت	١٤٠
بكاء النبي في غير واحد من المواقف على أحبَّته	١٤١
بكاء الصديقة الطاهرة عليها السلام على أبيها	١٤٣
بكاء الصحابة على النبي ﷺ وقصائدهم	١٤٤
حديث تعذيب الميت ببكاء أهله ونقده	١٤٧
نقل كلام الشافعي حول الحديث	١٤٨
١٠. الحلف على الله بحقّ الأولياء	١٥٠
حلف النبي ﷺ بحقّه وبحقّ الأنبياء عند دفن فاطمة بنت أسد	١٥١
ورود الحلف على الله بحقّ الصالحين في الأدعية	١٥٢
سؤال و إجابة	١٥٣
١١. الحلف بغير الله	١٥٥
ورود الحلف بغير الله في القرآن الكريم	١٥٥
ورود الحلف بغير الله في السنّة النبوية	١٥٧
سؤال وجواب	١٥٨
١٢. تسمية المواليد بإضافة العبد إلى غير الله سبحانه	١٦٠
العبوديَّة وتفسيرها و أقسامها الثلاثة	١٦٠
فهرس المصادر	١٦٣
فهرس المحتويات	١٧١

الحمد لله ربِّ العالمين

... فهذه بحوث موجزة حول التوحيد والشرك في القرآن الكريم أقدِّمُها إلى الجيل الصاعد من أبناء أُمّتنا الإسلامية بُغية الحفاظ على كيانهم و وحدة كلمتهم و إنقاذهم من مخالب الشرك و هدايتهم إلى حظيرة التوحيد.



ايران - قم -ساحة الشهداء - مكتبة التوحيد

هاتف : ٧٧٤٥٤٥٧ - ٠٢٥١ - ٠٠٩٨

فاكس: ٢٩٢٢٣٣١ - ٠٢٥١ - ٠٠٩٨

http://www.imamsadeq.org

E_Mail: pub@imamsadeq.org



منشورات مؤسسة الإمام الصادق (ع)

گرافیک امام صادق : علی رحیمی

